ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

الأثر العربي الإسلامي في اليهودية
اللغة والأدب أنموذجًا

وليد مسعود أدهم نصر منصور

باحث – مركز المخطوطات

مكتبة الإسكندرية

الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

مُلَخّص

اقتصرت هذه الدراسة على أثر التمازج الأدبي واللغوي فيما بين اللغتين العربية والعبرية، ولست أوفيه حقه بحال إذ الموضوع رحب؛ ولا يتقارب طرفاه إلا بعمل علمي ضخم وإن كان، فاجتهدت في الوقوف على آصل أسبابه وإلقاء الضوء على جملة قواعده، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن سنة التمازج والتلاقح المعرفي بين اللغات لم تقتصر على العبرية والعربية؛ فإن البحوث العلمية تواترت على اكتشاف علاقات تمازج بين العبرية وكل من اليونانية والفارسية والمصرية القديمة؛ حتى ليذهب بعضهم أن اسم النبي (موسى) هو اسم مصري الأصل؛ ولا يمت للعبرية بصلة. غير أن اشتراك العبرية والعربية في جذر واحد وانبعاثهما من أرومة واحدة اتحدت كلتاهما في جملة من السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية فضلًا عن الأدبية واللغوية هو ما حملني على اقتصار البحث على التعرض للأثر العربي في العبرية، ولعل في قادم الأيام ما يميل بي إلى غيرها من فروع هذا الباب إن شاء الله. وقد جاء البحث موزعًا على مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة؛ عرّجت فيها على بيان شيء من طبيعة العلاقات بين عرب الجاهلية واليهود أدبًا وسياسة ولغة، متوقفًا عند بعض إشكاليات تدوين النص المقرائي، ثم أثر العربية في العبرية لغة وأدبا بعد الإسلام، وعوامل ظهور منهج التقعيد العلمي عند اليهود صدورًا عن الأثر الإسلامي، وانتشار العلوم الإسلامية بداية من نهايات القرن الأول الهجري إلى ما تلاه، وعسى أن يقع هذا العمل في نفس المطالع الكريم موقع القبول، فإن أكن أحسنت فبها ونعمت؛ وذلك الذى أرجوه، وإن تكن الأخرى فحسبي أن يُنسخ خطئي بصواب العلماء الأجلاء والباحثين الفضلاء.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٠ ديسمبر ٢٠١٨

تاريخ قبول النشر: ١٥ فبراير ٢٠١٩

كلمات مفتاحية:

أدب عرب الجاهلية، اللغات السامية، أدب العهد القديم، النص المقرائي، العبريين، اللغة العبرية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054922

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

وليد مسعود أدهم نصر منصور. "الأثر العربي الإسلامي في اليهودية: اللغة والأدب أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الثالث والأربعون؛ مارس ٢٠١٩. ص ١٨٧ – ٢٠٥.

مُقَدِّمَةُ

اليهودية واحدة من الديانات السماوية القليلة باقية الوصل، ممتدة الأثر إلى جوار المسيحية والإسلام، إضافة إلى جملة من الديانات ذات الأثر الإنساني المنبثقة عن مادة التفاعل البشري، ورغبة الإنسان في الاحتماء بقوة قاهرة تكون حصنه في الملمات وملاذه عند الشدائد، لا سيما بعد أن عجز عن استيعاب فكرة الوحي السماوي المباشر على واحد من بني جنسه، فمال عقله إلى تقديس بعض المظاهر الطبيعية التي يعاينها كفاحا، أو إلى استحداث وسائط بينه وبين القوة القاهرة كتماثيل وأصنام أو أرواح أشخاص انتقلوا إلى العالم الآخر. على أن اليهودية كغيرها من الديانات والثقافات يبرز في مادتها بجلاء أثر التفاعل والتمازج مع الآخر، فلا ريب أن الفكر الإنساني في جملته مادة التفاعل وامتزاج آثار السوابق في اللواحق، وإن شئت القول فهو أثر حضارة الغالب في بقايا المغلوب؛ فقد هَزم الرومانُ

اليونانَ عسكريا ولكن ثقافة اليونان وفلسفتهم كانت أبعد أثرًا من نظيرتها عند الرومان فتغلغلت فيهم وبرزت في حياتهم رغم الهزيمة العسكرية.

وكذا اليهودية كبقية الديانات والثقافات يُرى في مادتها ما ليس منها بداءةً، ولكن آثارُ الدهر وبقية التفاعل الإنساني طورًا فَطَورًا، على أن لتاريخ اليهودية وأهلها خصوصية مرعية في التاريخ من حيث السياق والدلالة والنواتج. فاليهودية أمة لم تفلح في بناء حضارة بالمعنى الكامل لمسمى الحضارة ولا هم برزوا على مسرح التاريخ جماعةً غالبةً باسطةً نفوذها على رقعة شاسعة من الأرض لتترك بصمة معلومة في غيرها من الأمم؛ اللهم إلا ما كان بنذر يسير نسبيًا في زمن الملكية على عهد داوود وسليمان؛ ولكن أذلتهم هزائمهم المتتالية أمام الشعوب المجاورة، وفرقهم المنفى والشتات وأرغموا في غالب تاريخهم على التبعية لأمة قوية ينضوون تحت لوائها ويتأثرون بها دينًا وفكرًا ولغة فتارة يميلون إلى مصر- الفرعونية وأخرى يعولون على بابل وأشور، وثالثة بلاد فارس. وزمنًا طويلاً يعايشون الحضارة العربية الإسلامية وينعمون في ظلها بالأمان التام والحرية اللازمة لإنشاء العقل المبدع والفكر الواعي المتطور فيؤثرون ويتأثرون ويصيرون مثالاً بيّنا على تشرُّب الثقافات المتجاورة والمغالبة لبعضها في جميع مادتها.

فعلى مستوى اللغة العبرية وهى مادة العهد القديم ؛كتاب اليهود المقدس ولغتهم المقدسة حتى ظهور الإسلام؛ حيث كانت اللغة العربية هي أهم اللغات السامية الباقية السائدة في شبة الجزيرة العربية إلا أن العبرية لم تتمكن من تجاوز تأثير العربية عليها فهي وإن كانت من اللغات السامية؛ وأيضا كما يقول إسرائيل ولفنسون كانت شائعة قبل نشوء بنى إسرائيل وظهورهم في العالم إذ كانت لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وشرق الأردن ثم ظهرت بطون بني إسرائيل بين هذه الأقوام في طور سيناء وأطراف الحجاز وانتشرت منها إلى الأقاليم الأخرى. وبقيت هذه اللغة صاحبة السلطان والنفوذ مدة طويلة إلى أن ظهر تأثير احدى اللهجات الكنعانية وهى الآرامية فأخذت اللهجات العبرية والكنعانية الأصلية تضمحل مع التغيرات السياسية ثم أخذت هذه اللهجات في القرون الأولى بعد الميلاد تتدهور تدريجيا وتتضاءل أمام اللغة العربية التي كانت في ذلك الحين تمتد وتنتشر بسرعة حتى اضطرت بعضُ القبائل الآرامية والعبرية إلى أن تختلط بالعنصر العربي الأصلي وتندمج فيه شيئا فشيئا؛ وهكذا بدأ أثر العربية في العبرية ثم ازداد تباعا مع انتشار الإسلام وتمكُّن العربية أكثر من ذي قبل رجوعا إلى القرآن الكريم.

وليس على مستوى اللغة فحسب بل إن سفر أيوب أحد أسفار العهد القديم وجدنا من ينسبه جملة وتفصيلا إلى العرب وليس من يهوديته إلا اللغة العبرية وبعض التفاصيل الدرامية نزولاً على قواعد العرض الأدبي؛ على اختلاف بين العلماء والباحثين. هذا من ناحية اللغة أما على مستوى الفكر والفلسفة والعقيدة، فإنه لم يكد القرن السابع الميلادي ينتهي حتى كانت العلوم الإسلامية قد بدأت في التبلور والتأصيل فكرًا وتشريعًا فتبعه على التوالي تقعيد العلوم وابتكار بعضها كعلم الحديث وأصول الفقه والسيرة النبوية وعلم الكلام الذي شغل الناس وملأ الدنيا حينا من الدهر ولا زال؛ فعاد بأثره على علماء اليهود المعاصرين لنظرائهم المسلمين. خاصةً إذا علمنا أن طبقة من طبقات مفسري الشريعة اليهودية والمعروفة بمرحلة "الجاؤونيم" أي العباقرة أو العظماء قد بدأت عام ٥٨٩ ميلادية بأكاديمية "بومباديثا" في بابل وامتدت حتى القرن الحادي عشر الميلادي؛ وغيرهم من كبار علماء اليهودية كسعديا الفيومي ويهوذا بن قريش وداوود بن إبراهيم الفاسي وإبراهيم بن عزرا ومروان بن جناح القرطبي الذي كتب تفسيرا لبعض أسفار العهد القديم فاصطدم ببعض عبارات التجسيم والتشبيه فلجأ إلى منهج التأويل متأثرا بالأشاعرة في تأويلهم الصفات الإلهية في مثل قوله تعالى في القرآن الكريم "يد الله فوق أيديهم" بأن المقصود قوته سبحانه وتعالى.

على أن نشأة علم الكلام عند المسلمين كان من أبرز العلوم الإسلامية أثرا في غيرهم من الأمم ولا سيما اليهود؛ فقد تأثر الفكر الفلسفي اليهودي بهذا تأثرًا بعيد المدى فنشأت فرق دينية، وفي القرن التاسع الميلادي كانت اليهودية منقسمة إلى فرقتين هما الربانيون، والقرائيون وأهم فَرْق بين هاتين الفرقتين أن القرائين لم يعترفوا بالمشنا والتلمود كشروح لها قيمتها للكتاب المقدس وعلى العكس من ذلك الربانيون، وتبعت الفرقتان اليهوديتان المثالَ العربي الذي جاء من إسبانيا فنشأت فرقة المتكلمين بين فلاسفة اليهود من القرائين والربانيين واستعاروا

من المتكلمين المسلمين أشكال مناقشاتهم وجدالهم.

وعلى مستوى العبادات فمن الواضح أن ظاهرة التأثير قد تغلغلت أيضا إلى قلب العمل الديني والعبادة الدينية، كما ظهر في شعائر الصلاة في الكنيس وعبادة الطهارة، فنجد في التشريع الوارد في "تثنية التوراة" الذي ألفه موسى بن ميمون والذي يقضي بغسل القدمين قبل صلاة الصبح في نظر الحبر "إبراهيم بن داوود" لغزًا لم يجد له حلا، ويتساءل من أين جاء موسى بن ميمون بمثل هذا الفرض؟ وما أصله وما مصدره؟

وليس أوجز في الدلالة على ما بين الثقافتين اليهودية والإسلامية من أواصر وتمازج من قول الباحث اليهودي الحاذق أبي ذؤيب إسرائيل ولفنسون في معرض حديثه عن أدب قصص الأنبياء الإسلامية في المصنفات اليهودية في كتابه عن كعب الأحبار "إذا كان أدب القصة الإسلامية منذ نشأته إلى أواخر القرن الخامس للهجرة قد تغذى من المصادر اليهودية قبل كل شيء، فإنه حدث منذ القرن السادس رد فعل قوي أدى إلى أن القصة الإسلامية أخذت تتوغل في أدب اليهود بالأمصار الإسلامية عامة وبمصر خاصة، وهناك مجموعات في قصص الأنبياء عند اليهود، يتضح أنها متأثرة من القصة الإسلامية فإن مصنفات مثل فصول الحبر اليعازر وفصول الياهو والسفر المستقيم والمصنف الجميل تأليف الحبر نسيم تشتمل على روايات تلمودية عليها مسحة من أدب القصص الإسلامية.

ويبدو ذلك من أسلوبها العربي ومن أسماء الأعلام العربية وآداب قصتها الإسلامية، وليس رد الفعل هذا قاصرا على اقتباس النصوص والأسماء والأعلام فحسب، بل يشمل نقل قصص كاملة أخذها المؤلفون اليهود من العربية، ولم يلتفتوا إلى أصلها في المصادر العبرية، والذين لا يعلمون مقدار تأثير الآداب العربية من شعر وفلسفة ومنطق وعلوم في يهود القرون الوسطى بالأمصار الإسلامية يعدون ذلك ظاهرة غريبة، ولكن الذين يعلمون مبلغ تأثير الحياة العقلية العربية والإسلامية في الثقافة اليهودية، إبان القرون الوسطى من الناحيتين الدينية والدنيوية؛ يفهمون سبب الاعتماد على المراجع العربية الإسلامية في القصص بدلا من الرجوع مباشرة إلى المصادر اليهودية، وقد تصرف المؤلفون اليهود في القصص التي أدخلوها في البيئة اليهودية من الأدب العربي حتى تلائم العقلية اليهودية والعقائد الإسرائيلية ".

لا يبلغ الجهد بالباحث في أواصر العلاقات بين الثقافات والمعارف حتى يدرك التمازج بين التراثين اليهودي والإسلامي، فمن ناحية التأثير اليهودي في الإسلامي فإن كثيرًا من النصوص الإسلامية وتفاصيل التراث الإسلامي فضلًا عن المجاورة الزمنية لليهود دالة بعمق على هذا التمازج فإننا نجد فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونه بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله (ﷺ) "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا.[1] وفيما رواه أحمد وأبو داوود عن أبي هريرة بلفظ "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.[2] ومن إخبار النبي (ﷺ) بوقوع أثر السابقين ومنهم اليهود في المسلمين ما رواه البخاري؛ فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال "لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى إذا سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن.[3]

وغير هذا شيوع ما يسميه علماء تفسير القرآن الكريم "بالإسرائيليات" في فهم المفسرين للقرآن الكريم وتكرر الدعوات لتنقية بطون التراث الإسلامي منها، وهي إن كانت غير ذي بال على صلب العقيدة وأصول الشريعة إلا أنها لا ريب قد تركت أثرًا في تشكيل الوعي المعرفي عند المسلمين في تصورهم لتراثهم على الجملة. هذا التبادل التراثي والتمازج بين الثقافتين اليهودية والإسلامية لم يكن نتاجًا مفاجئا لانتشار الإسلام وإنما طُرحت بذوره في تربة العلاقات بين الديانتين فيما قبل الإسلام بزمن طويل، حيث تأكدت شواهد التواصل بين اليهود وعرب الجاهلية الذين يمثلون مادة العرب وهم بدورهم حملوا لواء الإسلام فيما بعد.

١-العلاقات التاريخية بين أدب عرب الجاهلية وأدب العهد القديم

أقدم النصوص الجاهلية الواردة إلينا من رحم التاريخ لا تجاوز القرنين قبل الإسلام وأشهرها ما كان من شعر أمرئ القيس والمهلهل وأضرابهما؛ ذلك أن تراجم أهل الأدب لم تتوسع في ذكر السابقين عليهم إلا من نُتَف حملتها الضرورة، وذلك لقلة المادة الواردة إليهم من أعماق التاريخ ولعلهم أرادوا التثبت في

دراسات

نسبة الأقوال إلى قائليها فلم يعرضوا إلا لما اشتهر وذاع صيته على ألسنة الرواة، كما ورد عند أمرئ القيس في قوله

عُوجا على الطّلل المحيل لعلنا
نبكي الديار كما بكي ابن حذام

وابن حذام هذا من الشعراء الذين اندثرت أقوالهم ولم يعد يُسمع به فيقول عنه ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء " وهو رجل من طيء لم نسمع شعره الذي بكي فيه ولا شعرًا غير هذا البيت الذي ذكره أمرؤ القيس[٤] "ويعرج ابن سلام في ذات المحل على "المهلهل بن ربيعة "فيقول: وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتلته بنو شيبان. وهو ما حدي ببعض الباحثين أن يستبعد فكرة التلاقح بين أدب عرب الجاهلية وأدب العهد القديم، غير أن المنطق المجرد يجافي هذه الأطروحة، -ذلك أن استقرار الباحثين على أن كلًا من العربية والعبرية يصدران عن أرومة واحدة فيما عرف عند علماء اللغات بمجموعة اللغات السامية ذات المشترك اللفظي والمعنوي في كثير من أصولها وفروعها- يأبى إلا أن ثمة تواصلًا وتمازجًا قد وقع على نطاق واسع في رحم التاريخ المجهول حتى وإن كنا نفتقد إلى كثير من دلائله، إذ إن فقد الدليل ليس دليلًا على انعدام الأثر بالكلية.

كما أن الأدلة التاريخية تتواتر على اتصال وثيق كان بين اليهود وعرب الجاهلية؛ فإننا نجد ذكر العرب في غير موضع في العهد القديم. "إذ ينتسب كلاهما إلي جد واحد هو عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح، فعابر ولد ولدين هما "فالج ويقطان" ومن "فالج" خرج أبرام، ومن يقطان تفرعت ثلاث عشرة قبيلة عربية، كان يقطان هذا هو قحطان الذي يسميه النسابون العرب "أبا يعرب". وَمَنْ يتفحص الكتاب المقدس يشعر بأن أصل العبرانيين موطن العرب... والذي يتتبع أخبار التوراة يجد أن إسماعيل وأبناءه (نبايوت بكره وقيدار..... ومسا.... قد أقاموا في مناطق لا تزال تعتبر من صميم أرض الجزيرة العربية ولم يكونوا بعيدين عن أنسبائهم وأولاد أبيهم إبراهيم من زوجتيه سارة وقطورة...وبقيت أواصر القربي تشدهم إلي بعض فيتزوج عيسو بن إسحاق "محلة" بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت).[٥]

ومن المواضع التي وردت في العهد القديم تحمل ذكر العرب وبعض ملوكهم، فإننا نجد في سفر الملوك ١٤:١٠،١٥/١ "وكان وزن الذهب الذي أتي سليمان في سنة واحدة ستمائة وستا وستين وزنة ذهب، ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض".

" וַיְהִי מִשְׁקַל הַזָּהָב, אֲשֶׁר-בָּא לִשְׁלֹמֹה בְּשָׁנָה אֶחָת--שֵׁשׁ מֵאוֹת שִׁשִּׁים וָשֵׁשׁ, כִּכַּר זָהָב. טו לְבַד מֵאַנְשֵׁי הַתָּרִים, וּמִסְחַר הָרֹכְלִים, וְכָל-מַלְכֵי הָעֲרָב, וּפַחוֹת הָאָרֶץ "

وفي أخبار الأيام ال ثاني١٦:٢١ "وأهاج الرب علي يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين"

" וַיָּעַר יְהוָה עַל-יְהוֹרָם, אֵת רוּחַ הַפְּלִשְׁתִּים וְהָעַרְבִים, אֲשֶׁר, עַל-יַד כּוּשִׁים "

وفي نحميا ٧:٤ "لما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون...."

" וַיְהִי כַּאֲשֶׁר שָׁמַע סַנְבַלַּט וְטוֹבִיָּה וְהָעַרְבִים וְהָעַמֹּנִים וְהָאַשְׁדּוֹדִים, כִּי-עָלְתָה אֲרוּכָה לְחֹמוֹת יְרוּשָׁלַם--כִּי-הַחֵלּוּ הַפְּרָצִים, לְהִסָּתֵם; וַיִּחַר לָהֶם, מְאֹד "

وفي حزقيال٢١:٢٧ "العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك..."

" עֲרַב וְכָל-נְשִׂיאֵי קֵדָר, הֵמָּה סֹחֲרֵי יָדְךָ; בְּכָרִים וְאֵילִם וְעַתּוּדִים, בָּם סֹחֲרִיךְ "

وفي ارميا ٢٥: ١٧-٢٤ " فأخذت الكأس من يد الرب وسقيت كل الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم.... وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية"

" וָאֶקַּח אֶת-הַכּוֹס, מִיַּד יְהוָה; וָאַשְׁקֶה, אֶת-כָּל-הַגּוֹיִם, אֲשֶׁר-שְׁלָחַנִי יְהוָה, אֲלֵיהֶם..... וְאֵת, כָּל-הָעֲרָב, וְאֵת, כָּל-מַלְכֵי אֶרֶץ הָעוּץ "

وفي اشعيا١٣:٢١ "وحي من جهة بلاد العرب: في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين"

" מַשָּׂא, בַּעֲרָב: בַּיַּעַר בַּעֲרָב תָּלִינוּ,אֹרְחוֹת דְּדָנִים "

وغيره من الشواهد المتناثرة في أنحاء العهد القديم التي تنبئ لا ريب عن علاقات سياسية وتجارية لا ينفصل عنها مجال علاقات الأدب والتراث واقتباس كل منهما عن الأخر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد حيث المعاملات القائمة على توازن القوي ومراعاة الأعراف السياسية بين الجيران في ذلك الحين بل تعداه إلى حد استقبال بلاد العرب لليهود كلاجئين في أزمنة الاضطهاد. "فإن صحف العهد القديم تتحدث في شيء من القطع والوثوق أن الكثير من اليهود فرّوا إلي بلاد العرب من الظلم والاستعباد الذي ينزل بهم وفي عهد بختنصر-نبوخذ نصر- حلت جموع من اليهود في بلاد العرب وانحدرت إلي الحجاز ويغلب علي الظن أن البطون اليهودية نزلت جهات خيبر ويثرب و استقرت فيها ومن هنا اعتقد القدماء أنه يوجد في هذه الجهات جموع من اليهود".[٦]

ويذهب صاحب "الأغاني" في مروياته إلي أبعد من هذا، فيروي أن نزول بني إسرائيل إلي أرض الحجاز فيما يلي المدينة ونواحيها كان بعد وفاة موسي بن عمران عليه الصلاة والسلام وذلك حين يتحدث عن رجل من يهود يدعي "أوس بن ذُبيَ اليهودي"، فيقول: وهو رجل من بني قريظة، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم الكاهنان، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسي بن عمران صلي الله علي محمد وآله وعليهما، وكانوا نزولاً بنواحي يثرب بعد وفاة موسي بن عمران عليه السلام ، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم، ونزول الأوس والخزرج بيثرب.[٧]

ويورد ابن خلدون أن بني إسرائيل قد تمكنوا من أمة العماليق بأرض الحجاز فيذكر "في كتب الإخباريين أن بني إسرائيل بعد ملكهم الشام، بعثوا بعوثهم إلى الحجاز وهنالك يومئذ أمة من العمالقة يسمون "جاسم" وكان اسم ملكهم "الإرم بن الأرقم"، وكان أوصاهم – أي يوشع – ألا يستبقوا منهم من بلغ الحلم، فلما ظهروا على العمالقة وقتلوا الأرقم استبقوا ابنه وضنوا به على القتل لوضاءته، ولما رجعوا من بعد الفتح وبخهم إخوانهم ومنعوهم من دخول الشام وأرجعوهم إلى الحجاز وما تملكوا من أرض يثرب فنزلوها واستتم لهم فتح في نواحيها، ومن بقاياهم يهود خيبر وقريظة والنضير".[٨] بل جازت اليهودية إلى بعض قبائل العرب كما يروي صاحب (المستطرف) "كانت اليهودية في نمير،[٩] وبني كنانة، وبني الحارث بن كعب، وكندة...."[١٠] ويشير ابن خلدون في تاريخه (١١١/٢) إلى أن داوود عندما تمرد عليه بنو إسرائيل فر ومعه سبط يهوذا إلى خيبر وأقام إلى أن قُتل ابنه وعاد إلى وطنه"، ويعلق د/ محمود المراغي قائلًا: "فلا غرابة إذن في أن ينطق داوود في مراثيه ومزاميره وأمثاله بإحساس عربي وتركيب وتعبير عربيين".[١١]

وفي المقابل نجد أن لعرب الجاهلية صلات واسعة بالأمم والممالك والقبائل المحيطة بهم لتحصيل منافع سياسية واقتصادية ويسجل لنا التاريخ أنه كان للفرس والروم نفوذ في قبائل العرب فيقيمون منهم ملوكًا تابعين لهم وتتعدد الرحلات بأغراضها المتعددة فيما بينهم وبين عرب الجاهلية حتي إنه ليُروي أن أول من أدخل الأصنام إلى الكعبة هو عمرو بن لحي الخزاعي، فيروي ابن هشام "حدثني بعض أهل العلم: أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلي الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق، وهم ولد عملاق... رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم ألا تعطوني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنما يقال له: هُبل، فقدم به مكة فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.[١٢]

ويروي ابن قتيبة "أن قبّاذ ملك الفرس مَلّك الحارث بن عمرو جد أمرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف علي العرب".[١٣] وفي هذا دليل آخر على أن عرب الجاهلية لم يكونوا بمعزل عن الدنيا ولا هم اعتكفوا في زاوية من الأرض؛ لا يشغلهم حال من حولهم؛ بل هم ومن جاورهم على الدوام في شأن من الأخذ والرد، والعبريون على أية حال كانوا أهل جوار للعرب أو استوطنوا بعض أرضهم نحوا من الزمان علي الحال الذي أسلفت شيئًا من ذكره.

والقرآن الكريم يوثق بعض رحلات العرب الخارجية في غير موضع ولعل منها قوله تعالي في سورة قريش "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(٤). فلا يعوزنا بعد ذلك الدليل علي حتمية وجود صلات قضت بتمازج آثار كل منهما في الآخر على نحو يُظَن حينا ويُستيقَن بالدليل أحيانًا.

ومن المسلم به أن شعر أمرئ القيس وأقرانه وما يتميز به من النضوج وثراء الأخيلة وعمق الصورة وجمال النظم وروعة التراكيب لا يمكن أن يكون قد نشأ طفرة على هذا النحو من البلاغة. وفي السياق ذاته يفهم كلام (نولدكه) في معرض حديثه عن تاريخ الشعر العربي القديم إذ يقول " والإنتاجات الأولى للشعر العربي القديم؛ التي حفظت لنا على شكل مقبول تبدي في جوهرها عن نفس الأشكال الخارجة والباطنية التي نتعرفها في قصائد الشعراء المعاصرين للنبي محمد (ﷺ) وإذا كان من الضروري أن نفترض أن كل الشعر العربي نشأ عن شعر الرجز الأبسط شكلا، فإن تكوين الأشكال الأكمل ابتداءً من الرجز قد تم قبل التاريخ المؤكد، ويبدو من الطريقة التي يتحدث بها امرؤ القيس ويقول إنه إنما يحاكي من سبقه.[١٤] "وعليه فإننا لا نستطيع التسليم بأن أقدم النصوص الجاهلية هي النصوص التي بين أيدينا من إنتاج أمرئ القيس ومعاصريه مما لا يجاوز بحال قرنين قبل الإسلام علي أكثر تقدير، إذ أن ناموس الحياة وطبائع الأشياء يشهدان باستحالة أن يولد شيء وهو مكتمل الشباب

والقـوة والنضـوج والازدهـار دون أن يمـر بالـدورة الطبيعية لمولد الأشياء ونموها المتدرج، فما بالنا بدورة حياة الآداب التي تستغرق القرون الطوال حتي يبلغ الأدب أوج ازدهاره في المضمون والشكل بالهيئة التي وصل إلينا فيها الشعر الجاهلي".[١٥]

ولعل هذا هو عين ما عناه المستشرق الإيطالي اجنتسيو جويدي "إن قصائد القرن السادس الميلادي الجديرة بالإعجاب تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة.[١٦] وهو ما يذكره ويؤكده بداءةً ابن سلام الجمحي شاكيًا ضياع العلم فيما يرويه يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء "ما انتهي إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير". ومما يدل علي ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد والذي صح لهما قصائد بقدر عشر وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة وإن كان ما يروي من الغناء لهما فليسا يستحقان مكانهما علي أفواه الرواة[١٧]، هذا فضلاً عن ما اشتهر عن العرب من صَوْغ الحكم وضرب الأمثال في قوالب أدبية بليغة راقت لفظا ومعنى، واستساغها منهم كل وارد عليهم ومتمازج بهم.

٢-أثر عرب الجاهلية في العهد القديم

وإذا درسنا أدب العهد القديم على النحو الذي يُدرس به الأدب العربي فإننا لا شك سنقف على كثير من الصور والأخيلة المتشابهة، "وهذه الصور التي وردت في شعر عربي جاهلي وُجد شبيه لها سواء في نشيد الإنشاد أو غيره من المختارات الشعرية العبرية الممتازة في العهد القديم إلا أن الحقيقة التي يجب إدراكها أن العبريين قبل أن يعبروا الأردن ويعرفوا باسم عبريين كانوا يحيون حياة عربية بدوية، فلما نزحوا إلي فلسطين جاءوا ومعهم خيالهم الصحراوي وقريحتهم العربية وقد لازمتهم هذه الخصائص عصرًا طوالًا ،ومن ثم أخذت تتطور وتجاري الأحداث التاريخية، فهذه الصور الشعرية التي نجدها مشتركة بين الأدبين ترجع في الواقع إلى تلك العصور التي عاشت فيها هذه القبائل في صعيد واحد وأي حكم علي التاريخ أو تحقيق صورة شعرية في إحدى اللغتين –العربية والعبرية- يتطلب منا ولا شك الرجوع إلي اللغة الأخرى".[١٨]

"وقد توصل علماء دراسات العهد القديم إلى أن أدب العهد القديم يعكس أدب الشعوب السامية القديمة بعد أَسْرَلته وتهويده.... ومن أبرز الكتب المؤلفة التي تربط أدب العهد القديم بآداب الشعوب الشرقية القديمة بالمعني العام لهذا المصطلح الكتاب الذي حرره (جيمس ريتشارد) بعنوان " نصوص الشرق الأدنى القديم المتعلقة بالعهد القديم".[١٩] إضافة إلى أنّ أسفار العهد القديم التي بين أيدينا ليست هي كل النتاج الأدبي للعبريين وإنما جزء من كثير تم انتقاؤه علي أسس دينية محضة وأقصيت نصوص أخرى فلم تحظ بالاعتراف اليهودي كسفر يهوديت وطوبيا وغيرها. "ولم تحفظ على هذا النحو جميع آثار الأدب العبري القديم، فأسفار العهد القديم نفسها تشير إلى المصادر التي استمدت منها مادتها؛ هذا إلي أن المخطوطات العبرية التي كشفت أخيرا بالقرب من البحر الميت تضم عدا بعض نصوص العهد القديم كتابات أخري ليست فيه.... والسبب الرئيس الذي دعا العبريين إلي أن يحفظوا في العهد القديم الأسفار التي يضمها دون غيرها هو أن الغرض من تصنيفه كان دينيا لا أدبيا فاختيرت الكتب التي تصلح للتعليم الديني، أي التي تشتمل علي تعاليم وتاريخ ديني.[٢٠]

ومن الصور الواضحة الدلالة على التأثير العربي في مادة العهد القديم ما نجده في مستهل الإصحاح الثلاثين من سفر الأمثال "حيث يبدأ الإصحاح بنسبة النص إلى رجل اسمه (اجور بن ياقة) من مسا: " דִּבְרֵי, אָגוּר בֶּן-יָקֶה—הַמַּשָּׂא " أي "كلام أجور بن ياقه المسائي، ويبدأ الإصحاح الحادي والثلاثون بنسبة النص إلى (لموئيل ملك مسَّا):

" דִּבְרֵי, לְמוּאֵל מֶלֶךְ-- מַשָּׂא " أي " كلام لموئيل ملك مسا" فالأول يبدو أنه ملك أو شيخ لعشيرة (مسَّا) العربية، والثاني كما هو واضح بالنص ملك من ملوك (مسّا) و מַשָּׂא "مسَّا" هذه اسم لعشيرة عربية من نسل إسماعيل كما جاء في سفر التكوين١٤/٢٥.[٢١] ويرى الدكتور فؤاد حسنين علي أننا في سفر نشيد الإنشاد نقف على كثير من الصور الأدبية التي يشترك فيها غزل النشيد مع الشعر العربي الجاهلي خاصة مع تلك التي يعرضها أمرؤ القيس في معلقته حين يقول:

فجئتُ وقد نضت لنوم ثيابها
لَدَى الستر إلا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة
وما أن أري عنك الغواية تنجلي

وفي هذا المعني يغنينا النشيد:

أنا نائمة وقلبي يقظ حبيبي يطرق افتحي لي يا أختي يا حبيبتي، حمامتي غانيتي، كسا الطلّ هامي.

وفي موضع آخر من المعلقة يقول أمرؤ القيس أيضًا:

وفرعٌ يَزينُ المتنَ أسود فاحم
أثيثٍ كقِنو النخلة المتعثكل

ويصورها النشيد بقوله: شعرك يتماوج تماوج معز تنحدر من جبل جلعاد قامتك نخلة وثدياك عناقيد، قلت تسلق النخلة وأمسك بأعذاقها[٢٢] ومن الواضح في المادة الأدبية للنص المقرائي أنها كطبيعة أغلب النصوص الأدبية تقع أسيرة لعناصر البيئة المحيطة، بسمائها وصحراءها وطيورها وطبائع أهلها، "ورغم افتتان الباحثين إلا أنها لا ترقي بجال في عمقها وإحساسها وشمولها إلي مستوي النصوص الجاهلية...وهذا مؤشر آخر إلي أن الأقوى والآصل والأعمق لا بد أن يكون هو المؤثر لا المتأثر".[٢٣]

ويذهب جملة من الباحثين ومنهم باحثون يهود إلى عروبة سفر أيوب من حيث ألفاظه وبعض دلالاته، فهذا إسرائيل ولفنسون كعادته يقارب ثم تدفعه العصبية لئلا يسدد؛ فيقول "ومجمل القول في سفر أيوب أنه يرمي إلى إظهار عظمة الله وجبروته وعزته وضعف المخلوق وذلته فهو من أبدع ما وصل إليه التفكير اليهودي وأكمله في أطواره التاريخية...والذي يهمنا من هذا الكتاب أنه أقرب سفر عبري إلى اللغة العربية من حيث ما فيه من الألفاظ التي تشبه العربية ومن حيث مسحته الصحراوية فإن أسماء أيوب وأصدقائه هي الأسماء التي كانت مألوفة عند أهل الجزيرة في الجاهلية حتى ليتيسر لنا أن نجد للفظ أيوب اشتقاقًا من فعل عربي هو آب يؤوب أو رجع إلى الله أي تاب يتوب فمعنى أيوب تائب أو تواب أي راجع إلى الله. وتدل أسماء أصدقائه على أن مؤلف سفر أيوب آثر أسماء شبيهة بأسماء عربية جاهلية على أسماء يهودية مألوفة: أليفاز التيماني من تيماء (ولعلها كانت مسكونة بيهود منذ ذلك العهد) وبلداد الشوحي وصوفر النعماني.[٢٤]

٣-إشكاليات تدوين النص المقرائي وعلاقته بالأدب الجاهلي وآداب الشعوب المحيطة

طالما أن الأدب الجاهلي شعرًا ونثرًا قد تعرض لعوامل التطور والازدهار التدريجي حتى وصل إلى مرحلة القدرة على التأثير والتأثر مع نظائره، وذلك باعتبار أن الأدب هو كائن حي يتأثر بالعوامل المحيطة؛ واستنادًا إلى ما سلف ذكره حيث يستحيل عمليًا أن يكون ما وصلنا من الأدب الجاهلي هو مجرد نتاج للقرن الرابع الميلادي على التقريب بل هو أبعد من ذلك بكثير، وعليه فإنه سيكون من المفيد التعامل مع نص العهد القديم بمنظور الحكم على المادة الأدبية؛ لا سيما وأن نص العهد القديم هو في ذاته مادة أدبية وتاريخية ودينية في سياق واحد. ومن البديهي في دراسات الأديان أن يُطرح للوهلة الأولي تساؤلات عن آلية تدوين نصوصها المقدسة وظروف تدوينها، وعند طرح ذات السؤال عن العهد القديم بصفته النص الديني للجماعة اليهودية؛ فإننا سوف ندرك إلى أي حد؛ كم كانت ظروف نشأة النص بالغة في الاضطراب والتناقض ما عاد بآثاره على النص ذاته كوحدة أدبية خرجت مشتة وتحمل نفس سمات ظروف النشأة.

فالنص المقرائي لم يُكتب كله مرة واحدة أو روعي في تدوينه درجة عالية من الثقة والتثبت وإنما كتب على فترات زمنية متباعدة تبلغ القرون فبين موسي و"عزرا" الكاتب الذي دون التوراة ما يقارب الألف عام، هذه الفترة الزمنية الطويلة حتى زمن تدوين عزرا للشريعة جعلت النص عرضة لعوامل الاضطراب البيئي والزمني، فاعتراه من التناقض بين نصوصه الشيء الكثير، لا سيما وأنّ بني إسرائيل أنفسهم كانوا كثيري النزوع إلى مخالفة الشريعة في جوانب عديدة؛ أولها الجانب العقدي والتعبدي حتى عاب عليهم أنبيائهم ذاتهم مرارًا هذا الجنوح، فنجد "إيليا" في سفر الملوك الأول ينتقد عبادة بني إسرائيل لآلهة كنعان "فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال حتى متي تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه" مل١ ١٨: ٢١. وكذلك نقد كلٍ من ارميا وصفنيا عبادة النجوم والأفلاك.

لم يتوقف نقد الأنبياء عند مسألة المضامين التعبدية فقط وإنما تعداها إلى مسألة خطيرة وهي مسألة تحريف النص المقرائي، فوقوع تحريف للنص يعني تأثر بآخرين والتأثر في قليل يقود إلى التأثر في

كثير. "فنجد النبي ارميا غضب غضبًا شديدًا علي رجال التوراة في عصره وأعلن صراحة (كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقا إنه إلي الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب) (ارميا٨:٨) وعلي الرغم أن ه.فايس علق على هذه العبارة قائلاً: لم نستطع حقا معرفة ما هو الكذب الذي قصده النبي إذ يتضح أن هؤلاء الكتبة كتبوا أقوالا متصلة بالتوراة، وفسرت التوراة من طرفين متناقضين، واختار كل واحد من الطرفين لنفسه طريقا في تفسير التوراة وفهمها....إلا أنه يتضح من نص هذه العبارة أن النبي يشير إلي التعديلات التي أدخلها الكتبة في نص التوراة وأبعدها عن مسارها الصحيح.[٢٥]

ولم يقف الأمر عند النقاد المحدثين لنص العهد القديم، فبعض المواضع المحمولة على التناقض والاضطراب في النص تشكل مع غيرها تساؤلات وشكوك لدي (حيوي البلخي اليهودي) الذي عاش في مدينة بلخ في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري فأورد اعتراضاته على التوراة في عشرة أقسام نذكر منها قوله "الله غير عادل وغير رحيم ولا يمنع من وقوع الشر. فقد قبل قربان هابيل ورفض قربان قابيل دون سبب، والله لا يعلم علمًا مطلقًا فهو لم يعلم أين كان آدم عندما كان مختبئًا في جنة عدن ولم يعلم أين كان قابيل".[٢٦]

وما يزال الباحث والمؤرخ اليهودي ذاته فضلاً عن بقية الباحثين حتي اليوم يعاني الاضطراب في تأويل بعض المواضع الملبسة والمثيرة للجدل في ثنايا العهد القديم ، فنري الباحث اليهودي الناطق بلسان المؤسسة الحكومية يضطرب في تفسير لفظة "إسرائيل" الواردة في سفر التكوين عند حديثه عن الجد القديم يعقوب، فيقول "لقد وُصف يعقوب آخر الأجداد القدامى في (سفر التكوين٣٢:٢٥-٣٣) وهو يقوم بمصارعة أحد الملائكة الذي بارك الله بالكلمات التالية "لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت "قد تعني كلمة إسرائيل" الذي يجاهد مع الله.[٢٧] ولم يقف بنا على معني قاطع في هذا الموضع الخطير أهو ملاك الله أم الله ذاته؟

نخلص من هذا إلى أن البوتقه التي انصهرت فيها تاريخ وديانة اليهودية نهجا وممارسة لا تبعد كثيرًا عن ملابسات الشرق القديم بدياناته وتاريخه وأساطيره ولغاته وأن روابط عدة وأسباب عامة وأخرى خاصة تسوق جميعا في آن واحد إلى نتائج متشابهة وأدت إلى وجود المواضع المضطربة في المادة المقرائية لفظا ومعني. ونتيجة لجهود باحثي العهد القديم في استكشاف مواضع وآثار الاضطراب في نص المقرا فقد اصطلحوا على أن ثمة عمليات تحرير متعددة وقعت للنص، ولم تكن هذه العمليات في زمن واحد أو تحت ظروف موحدة وإنما تتابعت زمنيا وساقتها أسباب متباينة وفقًا لطبيعة كل مصدر قام بالتحرير وفق رؤيته الخاصة لخدمة النص.

"ويتفق بشكل عام علي أن الكتب الخمس الأولي من العهد القديم-التكوين، الخروج، اللاويون، التثنية، العدد-تعود إلي أربعة تقاليد رئيسة، ويطلق علي التقليد الأول اسم اليهوي لأنه يضم النصوص التي تطلق علي الذات الإلهية اسم (يهوه) ويرمز له بحرف (J) اختصارًا للتهجئة الألمانية للاسم أي (Jehova) والمترجم إلي العربية علي نحو (الرب)...أما التقليد الثاني فيسمي في هذا التهذيب العلمي "الإلوهيمي" ويشار له بحرف (E) اختصارا لاسم (Elohim) والمترجم إلي العربية علي نحو (الله) ويتعلق هذا التقليد بتلك النصوص التي تطلق علي الذات الإلهية اسم (إلوهيم) عرف أهل الاختصاص التقليد الثالث باسم (الكهنوتي) ويتعلق بالنصوص التي يرون أن كهنة إسرائيل... تدخلوا في نصها الأصلي عبر تعليقات ذات صفات وعظيه ويرمز لهذا النص بحرف (P) اختصارًا للكلمة الألمانية (Priester) بمعني كاهن ويضاف إلى ذلك تقليد رابع هو التثنوي والذي يرمز له بحرف (D) (اختصارا للكلمة Deuteronomium) الألمانية والتي تعني (التثنية).[٢٨]

وبما أن لكل تقليد أو مصدر من هذه المصادر سماته الخاصة وأسسه التي يرتكن عليها في فهمه للنص وبالتالي إعادة صياغته فلابد وأن يكون قد ترك آثارا واضحة يمكن تلمسها بتعقب النص دراسة وتحليلاً، فإننا نجد من مميزات المصدر اليهوي مثالا أنه "يهتم بالربط بين الدين والقومية... والثناء على انتصارات بعض ملوك بني إسرائيل والحماس السياسي والقومي".[٢٩] وأما المصدر الإلوهيمي فقد نشأ في المملكة الشمالية حيث أسباط إسرائيل العشرة "ويمكن تلخيص خصائص المصدر الإلوهيمي والرؤية الدينية الإلوهيمية في التالي؛ الشعور الديني العميق بطاعة الله والولاء له ورفض الوثنية والتأكيد علي التوحيد والوحي ودوره في الديانة... والبعد الأخلاقي الواضح حيث يركز علي الجانب الأخلاقي في حياة بني إسرائيل.[٣٠] وعلي نفس النسق تسير المصادر الأخرى من حيث الخصائص وظروف النشأة

الخاصة بكل منها. وعلى هذا لا يمكن القول بأننا أمام تاريخ واحد أو ديانة واحدة لآباء، بل إننا أمام رؤى تاريخية ودينية متباينة، وقدم كل مصدر من هذه المصادر تاريخ وديانة الآباء بما يتفق ورؤاه.[٣١]

يتبين لنا مما سبق؛ أن الدراسات المستفيضة حول نص العهد القديم وصلت إلى شواهد واستدلالات كثيرة على أن تأثيرات على نطاق واسع أحاطت بالنص منذ القدم وأن آداب وفولكلور الشعوب المجاورة لا شك أنه اختلطت آثاره بالنص وامتزجت به حتى صارت جزءًا أصيلا منه. وطالما أن عرب الجاهلية بحكم الموقع الجغرافي والدلالات التاريخية هم من أقرب المجاورين لجماعة بني إسرائيل، وصارت بينهم مساجلات عسكرية وعلاقات دبلوماسية بنص العهد القديم ذاته في غير موضع؛ استنادًا إلى آراء كثير من الباحثين بأن أقدم ما وصلنا من الشعر الجاهلي لابد وأن له جذورًا ضاربة بأطنابها في التاريخ وليس لزمن أمرئ القيس والمهلهل بن ربيعة عند المائة الثانية قبل الإسلام على اختلاف التقديرات. وطالما أنه كانت للعرب في التاريخ الموغل في القدم ملكيات ذات سيادة تضاهي ملكيات بني إسرائيل في زمانها فلابد وأن لهذه الكينونة العسكرية ما يوازيها من الكينونة التراثية والثقافية؛ فلا يوجد ما يمنع من تأثر العهد القديم وأدب العبريين بأدب عرب الجاهلية.

٤-طبيعة العلاقات بين عرب الجاهلية والعبريين في العهد القديم

كانت العلاقات اليهودية بمحيطها الإقليمي وفقًا لرواية العهد القديم مضطربة وتتخللها حروب ونزاعات في غالبها الأعم، ذلك أن اليهودية بطبيعتها كديانة لم تكن تتقبل الانصياع والتنازل للأمم الوثنية المجاورة إلا مغالبة وتحت لهيب السيوف، هذا فضلا عن العوامل السياسية الأخرى ومنطق الملكية في الاعتداد بالذات، ولم تكن علاقات اليهود بجيرانهم من عرب الجاهلية بدعًا عن تاريخهم مع بقية جيرانهم، فالعهد القديم يفيض بموجات من الوعيد ورؤى الويل والثبور لكل من اختلف مع مملكتي الجنوب والشمال يهوذا وإسرائيل ومن بينهم العرب الذين ورد ذكرهم صريحا في العهد القديم باسم "العرب" مضافة إلى لفظ "الملوك" " מַלְכֵי הָעֲרָב " أي "ملوك العرب" وباسم "عربان" " הָעַרְבִיאִים" وأشير إليهم باسم "أعرابي" "כְּעָרְבִי" وأيضًا باسم "العربي" "הָעַרְבִי" صفة لموصوف.

وقد وقفت على ذكرهم بهذه التوصيفات الصريحة في أربعة عشر موضع، ثلاثة منها فقط يمكن أن توصف العلاقة فيها بين الجانبين على أنها علاقة جيدة نسبيًا، ومن الجدير بالذكر أنها لم تكن على حال من الاستقرار سوى في زمن الملك سليمان والملك يهوشافاط بن آسا ووُصف ملوك العرب في هذه المواضع بأنهم يقدمون ما يمكن اعتباره تقدمات ترضية في عهد الملكين المذكورين وأما بخلاف هذا فقد كانت العلاقات بين الطرفين غاية في العداء والتربص والنبوءات الوعيدية لأنبياء بني إسرائيل.

وإذا كان نص العهد القديم يذكر في غير موضع أن لعرب الجاهلية ملوكًا وأنه كانت بين هؤلاء الملوك العرب وبين بني إسرائيل مناوشات وحروب تنبئ عن خصم وند عنيد، حتى إن العرب أحيانًا كانوا يتمكنون من ملوك بني إسرائيل، وما يستتبع هذا من استنتاج أن العرب في ذلك التاريخ الموغل في القدم كانوا أُمة تتمتع ببعض مظاهر التحضر ولها جيش وبالتالي صاحبة تراث وثقافة توازي قدرتها العسكرية وتاريخها الممتد وكان قادرًا على التأثير والتأثر بآداب العبريين وغيرهم. خاصةً وأن كثيرًا من باحثي العهد القديم يجمعون على وقوع تأثير شرقي قديم في كثير من جوانب المادة القرائية كالحديث عن أثر بابلي وفارسي ومصري قديم، وعليه فما الذي يمنع أن يكون للعرب أصحاب الملكيات – وإن كانت ملكيات نسبية وليست بالمعنى الكامل لملكيات الحضارات القديمة المستقرة كاليونان والرومان والفراعنة وغيرهم، ولهم من التراث الثقافي أثرٌ مثل غيرهم من الأمم مع الأخذ في الاعتبار أنهم كانوا جيرانًا ملاصقين للتاريخ اليهودي في المنطقة، والنصوص التالية دالة على ما نقول، وهي على هذا النحو:

١- الملوك ا: ١٠- ١٥ (علاقات جيدة، حيث يقدم ملوك العرب للملك سليمان الكثير من الذهب)

" וַיְהִי מִשְׁקַל הַזָּהָב, אֲשֶׁר-בָּא לִשְׁלֹמֹה בְּשָׁנָה אַחַת--שֵׁשׁ מֵאוֹת שִׁשִּׁים וָשֵׁשׁ, כִּכַּר זָהָב. טו לְבַד מֵאַנְשֵׁי הַתָּרִים, וּמִסְחַר הָרֹכְלִים, וְכָל-מַלְכֵי הָעֲרָב, וּפַחוֹת הָאָרֶץ "

٢- اخ٢: ١٤:٩ (علاقات جيدة، لنفس السبب السابق)

" לְבַד מֵאַנְשֵׁי הַתָּרִים וְהַסֹּחֲרִים, מְבִיאִים; וְכָל-מַלְכֵי עֲרַב וּפַחוֹת הָאָרֶץ, מְבִיאִים זָהָב וָכֶסֶף לִשְׁלֹמֹה "

٣- اخ٢: ١١:١٧ (علاقات جيدة، مع الملك يهوشافاط بن اسا، حيث قدم له العُربان آلافًا من الكباش والتيوس)

دراسات

וּמִן-פְּלִשְׁתִּים, מְבִיאִים לֵיהוֹשָׁפָט מִנְחָה--וְכֶסֶף מַשָּׂא; גַּם הָעַרְבִיאִים, מְבִיאִים לוֹ צֹאן, אֵילִים שִׁבְעַת אֲלָפִים וּשְׁבַע מֵאוֹת, וּתְיָשִׁים שִׁבְעַת אֲלָפִים וּשְׁבַע מֵאוֹת

٤- اخ٢: ١٦:٢١ (علاقات سيئة، مع الملك يهورام بن يهوشافاط، وغزو من العرب ليهوذا مملكة الجنوب)

" וַיָּעַר יְהוָה עַל-יְהוֹרָם, אֵת רוּחַ הַפְּלִשְׁתִּים וְהָעַרָבִים, אֲשֶׁר, עַל-יַד כּוּשִׁים "

٥- اخ٢: ١:٢٢ (علاقات سيئة، مع الملك أخزيا بن يهورام، بسبب قتل العرب لإخوته وأهل بيته)

" וַיַּמְלִיכוּ יוֹשְׁבֵי יְרוּשָׁלַם אֶת-אֲחַזְיָהוּ בְנוֹ הַקָּטֹן, תַּחְתָּיו--כִּי כָל-הָרִאשֹׁנִים הָרַג הַגְּדוּד, הַבָּא בָּעַרְבִים לַמַּחֲנֶה; וַיִּמְלֹךְ אֲחַזְיָהוּ בֶן-יְהוֹרָם, מֶלֶךְ יְהוּדָה "

٦- اخ٢: ٧:٢٦(علاقات سيئة، مع الملك عُزِّيَّا بن أمصيا، حيث أعانه الرب علي العرب)

" וַיַּעְזְרֵהוּ הָאֱלֹהִים עַל-פְּלִשְׁתִּים וְעַל-הערביים (הָעַרָבִים), הַיֹּשְׁבִים בְּגוּר-בָּעַל — וְהַמְעוּנִים "

٧- نح٢: ١٩:٢ (علاقات سيئة، اتهام جشم العربي مع آخرين بالحقد على اليهود وكراهيتهم واحتقارهم).

" וַיִּשְׁמַע סַנְבַלַּט הַחֹרֹנִי וְטֹבִיָּה הָעֶבֶד הָעַמּוֹנִי, וְגֶשֶׁם הָעַרְבִי, וַיַּלְעִגוּ לָנוּ, וַיִּבְזוּ עָלֵינוּ; וַיֹּאמְרוּ, מָה-הַדָּבָר הַזֶּה אֲשֶׁר אַתֶּם עֹשִׂים--הַעַל הַמֶּלֶךְ, אַתֶּם מֹרְדִים "

٨- نح٤: ٧:٤ (علاقات سيئة، لاتهام العرب مع آخرين بالتامر للإضرار المباشر بأورشليم)

" וַיְהִי כַּאֲשֶׁר שָׁמַע סַנְבַלַּט וְטֹבִיָּה וְהָעַרְבִים וְהָעַמֹּנִים וְהָאַשְׁדּוֹדִים, כִּי-עָלְתָה אֲרוּכָה לְחֹמוֹת יְרוּשָׁלַם--כִּי-הֵחֵלּוּ הַפְּרָצִים, לְהִסָּתֵם; וַיִּחַר לָהֶם, מְאֹד "

٩- نح٦: ١:٦ (علاقات سيئة، اتهام جشم العربي وأخرين صراحة بعداء إسرائيل ومحاولة الإيقاع بهم)

" וַיְהִי כַּאֲשֶׁר נִשְׁמַע לְסַנְבַלַּט וְטֹבִיָּה וּלְגֶשֶׁם הָעַרְבִי וּלְיֶתֶר אֹיְבֵינוּ, כִּי בָנִיתִי אֶת-הַחוֹמָה, וְלֹא-נוֹתַר בָּהּ, פָּרֶץ--גַּם עַד-הָעֵת הַהִיא, דְּלָתוֹת לֹא-הֶעֱמַדְתִּי בַּשְּׁעָרִים "

١٠- اش١٣: ٢٠:١٣ (علاقات سيئة، يذكر الأعراب في معرض الحديث عن خراب بابل في رؤيا اشعيا بن آموص)

" לֹא-תֵשֵׁב לָנֶצַח, וְלֹא תִשָּׁכֵן עַד-דּוֹר וָדוֹר; וְלֹא-יֶהֱל שָׁם עֲרָבִי, וְרֹעִים לֹא-יַרְבִּצוּ שָׁם "

١١- اش ٢١: ١٣:٢١(علاقات سيئة جدا، نبوءة وعيدية قاسية خاصة بالعرب وأهل تيماء)

" מַשָּׂא, בַּעֲרָב: בַּיַּעַר בַּעֲרַב תָּלִינוּ, אֳרְחוֹת דְּדָנִים "

١٢- ار٢٥: ٢٤:٢٥ (علاقات سيئة، وعيد للعرب وبقية الأمم)

" וְאֵת, כָּל-מַלְכֵי עֲרָב; וְאֵת כָּל-מַלְכֵי הָעֶרֶב, הַשֹּׁכְנִים בַּמִּדְבָּר "

١٣- ار٣: ٢:٣ (علاقات سيئة، تشبيه الرب لإسرائيل في عبادتها لآلهة أجنبية بالزانية التي إعتقبها وجوه السوء كأنها أعرابي جالس في البرية وكأن صنيع الأعرابي على الدوام هو الفجور الأخلاقي)

" שְׂאִי-עֵינַיִךְ עַל-שְׁפָיִם וּרְאִי, אַיֵּפֹה לֹא שגלת (שָׁכַבְתְּ)--עַל-דְּרָכִים יָשַׁבְתְּ לָהֶם, כַּעֲרָבִי בַּמִּדְבָּר; וַתְּחַנְּפִי אֶרֶץ, בְּזְנוּתַיִךְ וּבְרָעָתֵךְ "

١٤- حز٢٧: ٢١:٢٧ (علاقات سيئة، ذكر العرب وغيرهم من الأمم التي تقدم خدمات جليلة لمدينة صور ثم وعيد لمدينة صور)

" עֲרַב וְכָל-נְשִׂיאֵי קֵדָר, הֵמָּה-סֹחֲרֵי יָדֶךָ; בְּכָרִים וְאֵילִם וְעַתּוּדִים, בָּם סֹחֲרָיִךְ "

إضافة إلى كلمة أخري تكرر ذكرها في العهد القديم قريبةٌ لفظًا من كلمة " العربي" وهي لفظة "הָעֲרָבָה "وتعني "وادي العَرَبَة"

"ووادي العربة هو الوادي الممتد من البحر الميت أو من بحر الجليل إلي خليج العقبة، وتعني لفظة "عرابة" في العبرانية الجفاف وحافة الصحراء وأرض محروقة، أي معاني ذات صلة بالبداوة والبادية، وقد أقامت في هذا الوادي قبائل بدوية شملتها لفظة (عرب)، وفي تقارب لفظة (عرب) و(عرابة) وتقارب معناهما دلالة على الأصل المشترك للفظتين، ويعد "وادي العربة" وكذلك "طور سيناء" في بلاد العرب".[٣٢] هذا بخلاف أسماء قبائل العرب التي نسبها العهد القديم نسلاً لإسماعيل بن إبراهيم النبي (عليهم الصلاة والسلام) كقبيلة (مسا) وقبيلة (قيدار)" ويظهر من التوراة أن القيداريين كانوا أعرابا يعيشون في الخيام عيشة أهل البداوة، وقد وصفت خيامهم بأنها خيام سود "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم، كخيام قيدار، كشقق سليمان" (نشيد الأناشيد١:٥)... إلا أن منهم من كان متحضرًا سكن القري والمدن، ونجد (أشعياء) "يتبأ بإفناء مجد قيدار وبقية عدد قسي- أبطال بني قيدار" (اشعياء٢١:١٦) مما يدل علي أن القيداريين كانوا قوة وعددًا ضخمًا... وقد ذكروا مع العرب في جملة من تاجر مع العبرانيين".[٣٣]

الهدف الأساسي من ذكر هذه الروايات هو سوق الأدلة على وجود علاقات سياسية وتاريخية بين عرب الجاهلية واليهود. يُستهل ذكرها بتاريخ الملك سليمان حيث القرن العاشر ق.م مرورًا بالملوك يهوشافاط ويهورام وأخزيا وعزيا بن أمصيا وفي زمن الأنبياء نحميا وأشعيا وارميا حتى النبي حزقيال في القرن

السادس ق.م تقريبًا. أي أننا نتحدث عن علاقات ودلالات تاريخية امتدت على أدنى اليقين لأربعة قرون بعد زمن الملك سليمان دون أن نضيف إليها الروايات التي تتحدث عن انحسار أبيه الملك داوود إلى أعالي الحجاز وميله إلى نواحي يثرب (المدينة المنورة) أثناء حربه مع ابنه أبشالوم على ما أورده ابن خلدون في تاريخه وعارضه فيه اسرائيل ولفنسون بغير دليل للنفي. طيلة هذا الزمن وما يستتبع ذلك من تمازج ثقافي ينعكس فيه أثر كل أمة في الأخرى على نحو غير منكور.

ومما لا يغفل أن دراسة سياقات ألفاظ العداء في العهد القديم بين اليهود والأغيار بلفظ المقرا يدور في فلك تراتبي تصاعدي، فكلما كانت الأمة المعادية لليهود قوية وتتعامل بندية وعناد كان حظها من التوصيفات والتشبيهات قويًا حتى تصل لدرجة نبوءة وعيدية وهي أعلي درجات التعبير عن البُغض وفي نفس الوقت تدل على قوة وماهية الخصم المواجه لإسرائيل في العهد القديم. وقد وُصف العرب في المقرا بهذه الدرجة العُليا من العداوة وهو ما يستدل به على مكانتهم السياسية والعسكرية والثقافية من خلال نص العهد القديم. وبالتالي فلابد وأن يكونوا أصحاب تراث وثقافة قديمة توازي بُعدهم التاريخي والعسكري في ذلك الحين.

وحتى إن كان المقصود بلفظة "العربي" ومشتقاتها في العهد القديم هو الدلالة على البداوة والبادية والأعرابية ليس غير كما يري جواد علي في "المفصل" وأن لفظة "ملوك العرب" لا يتعدى مقصودها "رئيس عشيرة أو قبيلة" وليس المدن والحضر، إلا أن هذا كله لا ينفي وجود حياة منظمة في نظام اجتماعي حاكم ومستقر وله كيان قادر علي منافسة الدول المحيطة رأسًا برأس، حتى إننا لنجد أن ملوك العرب بنص العهد القديم يغلبون بعض ملوك إسرائيل ويقهرونهم كما حدث في زمن الملك يهورام بن يهوشافاط وأخزيا بن يهورام.

بالإضافة إلى هذا فإن تاريخ الحضارات السابقة بمنطقة الشرق الأدنى القديم ليحمل بعض الدلالات على هذه العلاقة فنجد الملك الآشوري سنحاريب "يصرح ببيانه عن أخبار الحملة التاسعة التي أناخ بها على سورية قال: أما حزقيا فإن هيبة جلالتي المرعبة غلبته حتى حدث أن الأربي (العرب) والمرتزقة (؟) من جنوده الذين اصطحبهم لتعضيد أورشليم قاعدة ملكه هجروه ". وانصرف حِزْقِيا وعِزِّيا قبله إلى مقاتلة المعونيين المقيمين في واحة معين (معان اليوم بجوار البتراء) وما يدانيها، واسترد عزيا وهو يعرف بعزريا أيضًا أَيْلَه ليهوذا وبنى البلدة...فهل يصدق أن أهل سبأ الأباعد وهم "العرب الذين بقرب الكوشيين "تسنى لهم القيام بمثل هذه الغارة؟[٣٤]

٥-أثر العربية في العبرية لغة وأدبًا بعد الإسلام

اللغة العبرية كبقية اللغات الإنسانية تخضع لقانون التطور والتأثر، وحيث أن اللغة هي وسيلة الإنسان الأساسية في التعبير عن حاجاته ورغباته وبدونها يصبح الإنسان فاقدا لواحدة من أهم خصائصه في إطار النوع الإنساني ولملازمة اللغة للإنسان فقد اكتسبت منه صفة الحيوية فصار من المناسب أن توصف بأنها كائن حي، يخضع لكثير من المؤثرات التي يخضع لها الإنسان. "والحقيقة أن الإنسان ملهم بفطرته أصول الحياة، وليست اللغة بأكثر من أن تكون بعض أدواتها التي تعين عليها، ولذا تراها في كل أمة على مقدار ما تبلغ من الحياة الاجتماعية قوة وضعفا، وإذا كان من أصول الحياة: الاجتماع، فمن أصول الاجتماع: اللغة، وهذه من أصولها المواضعة".[٣٥]

فنجد أن اللغة تنشأ ثم تتوسع قاعدتها اللغوية ذاتيًا وتأثرًا بغيرها ثم تتعرض للظروف السياسية والاجتماعية وعوامل التطور الحضاري التي إما أن تصقلها وتقويها وتساعد في امتداد عمرها الزمني وإما أن تعزلها وتحجر عليها وتمنعها من استمرارية الحياة وعليه فإنها تنتقل من مرحلة الفتوة والشباب إلى الكهولة وربما الوفاة؛ فلا يقف اللاحقون على لغات السابقين إلا في ثنايا ألواح حجرية أو لفائف بالية أنقذتها الأقدار لنقف على صورة من صور الماضي البعيد عنا. واللغة في تنقلها بين أطوارها المختلفة قوة وضعفا، تطبع بسماتها وخصائصها مادتها المكتوبة، فيكون النص تبعا لحالة اللغة من حيث صحة دلالة الألفاظ الموضوعة ووضوح المعنى المقصود وبالتالي الفهم الدقيق والصحيح لما أراد كاتب النص أن يقوله، والعكس بالعكس.

ذلك أن اختلاف اللغة إملاءً وتعبيرًا أدبيًا لا شك أنه يعود بأثره على المعنى المراد توصيله من النص. فيكون الفهم على نحو مغلوط، وعليه يكون الفعل المبني على الفهم مغلوطا؛ ومن هنا تقوم حروب وتباد أمم وتنشأ معاهدات وتُستحدث حضارات وقوفا على ما فُهم من نصوص معينة، وكل هذا مرجعه إلى ضعف في اللغة ذاتها وعدم قدرتها على التعبير

الكامل عن المعنى المقصود أو ضعف في كُتّابها وناطقيها أو ضعف في المتلقي إذ لم يُفهم المعنى على مقصد مؤديه. والعهد القديم كنص ديني محكي وصلتنا أقدم نسخه المدونة في اللغة العبرية المشوبة بقليل من الآرامية، وقد مرت العبرية بظروف مضطربة وأحوال متغيرة على مدار تاريخها، ومن الواضح أن هذه الظروف قد تركت آثارها السلبية على مسيرة اللغة وطبيعتها في حد ذاتها وبالتالي عادت تلك الآثار على الأدب المكتوب بها في عامة صوره، الديني والاجتماعي وغيره.

وفي هذا المبحث نناقش هل عادت اللغة العبرية بتاريخها السلبي والإيجابي على مضمون مادة النص المقرائي، وهل كانت سببا في كل أو بعض ما وقع من اضطرابات في النص المقرائي؛ ومن بين هذه الاضطرابات المادة الأسطورية المخترقة لنص العهد القديم. وقد استقر رأي الباحثين في حقل الدراسات اللغوية على أن لغة واحدة كانت بمثابة اللغة الأم انبثق عنها ما يعرف باللغات السامية وفق تسمية العالم الألماني "شلوتزر" schlozer استناداً إلى أن هذه اللغات تمثل لسان الشعوب المنسوبة إلى سام بن نوح في جداول الأنساب التي أوردها سفر التكوين، من هذه اللغات: الكنعانية والحبشية والآرامية، "وأشهر اللغات السامية هي العربية والعبرانية والسريانية والحبشية وفروعهن، وإنما ذكرنا العربية أولا بين اللغات السامية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأقدمهن وأغناهن، ومعرفتها لازمة لكل من يريد أن يتقن حسنا معرفة سائر اللغات السامية".[٣٦]

والأمر هنا ليس أمر مفاضلة أو رفع لمقام لغة على أخرى وإنما النظر في دلائل التأصيل للوقوف على الجذور والفروع وبالتالي صحة الاستدلال في بقية الفروع. "بل وتعتبر العبرية أبرز أعضاء الفرع الكنعاني في العائلة السامية، ويأتي مصدرها الأساسي من العهد القديم المكتوب باللغة العبرية[٣٧] وهذا الاتحاد في أصل النسبة لم يكن اكتشافه مقصورًا على باحثي الدرس اللغوي من مستشرقي العصر الحديث وإنما سبقهم إليه علماء العربية بزمان فنجد ابن حزم الأندلسي يشير إلى التقارب بين هذه الأسرة اللغوية فيذكر في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) "الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أنّ السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حِمْيَرَ لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها؛ فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلس... وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلًا لا يخفي على من تأمله، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول (مهمدًا) إذا أراد أن يقول (محمدًا) ومثل هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل".[٣٨]

وهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه (العين) يدرك العلاقة بين الكنعانية والعربية، فيقول: "وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية"[٣٩] ولعل إدراك التشابه والتقارب بين الساميات بالمصطلح الحديث كان واضحًا للمسلمين علي العهد النبوي، فنجد الإمام البغوي في تفسيره لقوله تعالي في سورة البقرة الآية رقم (١٠٤) قوله تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فيقول "وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله، من المراعاة أي أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك لكلامنا، يقال أرعى إلى الشيء ورعاه أي أصغى إليه واستمعه وكانت هذه اللفظة (شيئًا) قبيحًا بلغة اليهود، وقيل كان معناه عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل هي من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانًا قالوا له: راعنا بمعني يا أحمق! فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمدًا سرًا، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه؛ ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم؛ فسمعها سعد بن معاذ فقطن لها وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى (لا تقولوا راعنا) كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله".[٤٠]

وبالبحث في معنى اللفظ العبري المطابق للفظ (راعنا) المَنْهي عنه في القرآن الكريم؛ بعد تجريده من ضمير المتكلمين (نا) فيصبح (راع) نجد أن مقابلها العبري هو (רַע) أي شر أو شرير، ومعلوم أن الحماقة من الشر وأن الشرير أحمق، وهذا معناه أن المسلمين ربما فطنوا إلى التشابه اللغوي بين بعض الألفاظ العبرية والعربية وإمكانية استعمالها في معاني

مُلبسة توافقت ظاهرًا وتناقضت باطنًا فنزل القرآن الكريم محذرًا من خدع اليهود و مزالقهم حفظًا لمقام النبي الكريم (ﷺ)، والتي ساعدهم فيها اشتراك اللغتين العربية والعبرية في أصل واحد.

"على أن التاريخ يجهل نشأة اللغة العبرية من عهدها الأول وإنما غاية ما يعرفه، أنها وليدة أرض كنعان وأنها كانت تجري علي ألسنة قبائل الكنعانيين و الفينيقيين _سكان فلسطين قبل أن يسكن أبناء إبراهيم تلك البلاد...وكنعان اسم يقع ويشمل _ كل عشائر الكنعانيين سكان فلسطين؛ وما تاخمها من بلاد سوريا _ ذلك الجزء الذي يقع على سكانه نعت الفينيقيين، وقد وجدت عملة من آثارهم تشهد بذلك، وتعزز هذا الرأي".[٤١] خاصةً وأن استنطاق التاريخ يدل على أن النبي إبراهيم أتى من أرض الكلدانيين واستقر أخيرا في أرض الكنعانيين ولا بد أنه كان يتحدث بلسان قومه ثم تعلم هو وابنه إسحاق وحفيده يعقوب لغة الكنعانيين. "وهي غير معروفة بهذه التسمية _ أي اللغة العبرية _ في العهد القديم وإنما تسمي اللغة الكنعانية في أرميا إصحاح ١٩ آية ١٨ أو اليهودية في سفر الملوك الثاني إصحاح١٨ آية ٢٦، ٢٨، وأشعيا إصحاح ٣٦ آية ١١،١٣، ونحميا إصحاح ١٣ آية ٢٤، أما التسمية باللغة العبرية עִבְרִית (عبريت لشون عبري) לְשׁוֹן עִבְרִית فقد وردت لدي الربانيين في القرون الأخيرة قبل الميلاد".[٤٢]

ولابد أن الأربعين سنة فترة التيه في أرض سيناء على أغلب الأقوال حيث الطبيعة الصحراوية والمشاهدة العينية للمعجزات الإلهية قد تركت أثرها في أخلاق العبريين وتبعها لغتهم. "وكانت لغة العبرانيين في عصرهم الأول خالية من الرطانة الأعجمية تظهر عليها مسحة من سذاجة الصحراء وجمال الطبيعة وجودة الخيال والميل إلى الإيجاز كما كان إخوانهم في العرب الجاهليين".[٤٣] ولا يحتاج المرء إلى تدقيق شديد ليدرك مدى التشابه بين اللغتين العربية والعبرية إضافة إلى الآرامية وبقية اللغات السامية. "وعندما بدأ الاشتغال في القرن السابع عشر بلغة الأحباش الدينية؛ لم يسع المرء إلا الاعتراف بقرابتها الشديدة للغة العبرية، وهكذا كان لدي كبار المستشرقين في القرن السابع عشر تصور صحيح في الغالب عن وحدة الفصيلة السامية".[٤٤] واللُحمة السامية الرابطة بين هذه اللغات المتحدة في أصل النسبة اكتشف العلماء قواعدها وأسسها من خلال المقارنات اللفظية والنظر في جملة قواعدها النحوية والتي وُجد أنها تتفق مع بعضها في كثير من تفاصيلها.

"فنجد أن الصوامت العبرية أقل من الصوامت العربية... والصوائت العبرية أكثر من الصوائت العربية... وجمع التكسير واسع الاستعمال في العربية، والظاهر أن العبرية تميل إلى جمع السلامة، فالياء والميم فيها وحدة صرفية لاحقة تفيد الدلالة على أكثر من واحد من الأسماء".[٤٥] وبقدر التشابه الملحوظ بين اللغات السامية عمومًا إلا أن عوامل الهجرة والتفرق واستقلال اللهجات لا شك تولد تباينًا، فنلاحظ أن أداة التعريف في العبرية هي الهاء أول الاسم ولكنها في العربية ال أو هل على اختلاف اللهجات وفي الآرامية ومنها السريانية نجد أداة التعريف هي الألف في آخر الكلمة وفي اللغة السبئية نجد حرف النون، وليس في اللغة الحبشية ولا الأكادية أداة للتعريف.

٦-تطور مراحل اللغة العبرية

يري الباحثون أن اللغة العبرية قد مرت على مدار تاريخها بثلاثة أدوار مثلت تاريخها وصورة لكيانها المضطرب عبر التاريخ وهي على النحو التالي:

٦/١-دور عتيق جدًا، سابق علي جمع كتاب العهد القديم.

٦/٢-دور فصيح وصلت فيه اللغة العبرية إلى قمة ازدهارها، وهذا الدور لا شك أنه كان أبهى ما يكون في عهد سليمان وربما في عهد أبيه داوود أيضًا، ففيه استقرت صيغ الصرف في اللغة العبرية وتقاربت لهجات الأسباط بعد الوحدة تحت تاج واحد.[٤٦] وكانت جميع ألفاظها تقريبًا من أصل عبري خالص، ويري مؤرخو الأدب العبري أن هذا الطور يمتد من حوالي القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م.[٤٧] أي أنه طالما كان بنو إسرائيل منحصرين داخل حدود الدولتين الشمالية والجنوبية فإن اللغة قد احتفظت إلى حد كبير بسماتها الأصلية على الرغم من التعامل مع الأمم المحيطة والتأثر بها والتأثير فيها.

٦/٣-بعد ذلك يأتي عصر تتأثر فيه هذه اللغة بالتيار الآرامي والكلداني، وهو عصر الانحطاط.[٤٨]

٧-الأثر الإسلامي في تقعيد اللغة العبرية

فُنيت العبرية بعد السبي البابلي (٥٨٦ق.م) بداء الاندثار والتواري ولم تعد لغة تخاطب يومي كسابق عهدها وانحسرت داخل أسوار المعابد واقتصرت على

دراسات

إقامة الشعائر الدينية، وحلت الآرامية محل العبرية كلغة حديث يومي على الرغم من محاولات الحاخامات ورجال الدين الحيلولة دون سيطرة الآرامية على مقدرات الحياة اليومية اليهودية حتى إنه لينقل عن بعضهم "לעולם לא ישאל אדם את חברו בלשון ארמי" أي "لا يحادث الإنسان أخاه بلغة آرام"[٤٩] على أن محاولاتهم قد باءت بالفشل أمام تيار الآرامية الجارف نظرًا للظروف السياسية والقوة العسكرية للناطقين بها. ثم كان بعد ذلك بزمان شيوع اللغة اليونانية على مسرح الأحداث تبعًا لتطور الأحداث وبروز اليونان كقوة عسكرية، فخضعت العبرية للآرامية ومن بعدها اليونانية ونبت فيها ألفاظ من كلتا اللغتين؛ على ما ألمّ بها أصلاً من اضمحلال وضعف في جميع جوانب اللغة نطقًا وكتابة وأدبًا، بقيت العبرية والحال هذه ولا يرجي لها تغير.

ذلك أن عوامل التطور النافع لم تكن قد توفرت بذورها حتى ذلك الحين، فلما جاء الفتح الإسلامي وأبدى المسلمون تعاطفًا مع ما لاقاه اليهود من أهوال تحت حكم الأمم السابقة، بدأت أحوال اليهود في التحسن من جميع الجوانب شيئًا فشيئًا وليس أدل على ذلك من شهادة الباحث اليهودي الأريب إسرائيل ولفنسون حيث يقول في مؤلَّفه الشهير (تاريخ اللغات السامية) "على أن الأدب الإسرائيلي في القرون الوسطى قد انتعش انتعاشًا عظيمًا ونهض نهضة قوية واتجه اتجاهًا جديدًا في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ومصر والعراق، فقد أخذ اليهود في تلك العهود يقلدون العرب في الشعر فاقتبسوا البحور العربية وصاغوها في قالب عبري ووزن عبري ثم انطلقوا ينشدون المقاطع والقصائد حتى أثْرت العبرية بهذا النوع من الشعر الجديد ونبغ فيه كثير من اليهود"، "ويقول Trend في مقدمة كتابه Legacy of Israel ونحن مدينون بما للغة العربية علينا من فضل كبير في دراسة التوراة فإن هذه اللغة لم تكد تصبح لغة رسمية حتى أدرك اليهود صلتها الوثقي باللغة العبرية، وقد أخذ اليهود يقلدون العرب إبّان القرنين الثالث والرابع الهجري ويخضعون لغتهم لقواعد النحو العربي".[٥٠]

كما أن رغبة اليهود في مماثلة المسلمين والنسج على منوالهم كأمة ناشئة متقدمة حملهم على النظر في أسباب تقدمهم فتبين " أن اهتمام المسلمين بنص القرآن الكريم وخوفهم من وقوع اللحن فيه وضبطهم وإعرابهم إياه، قد دفع اليهود إلى الاهتمام بوضع قواعد للغتهم اعتمادًا على كُتبهم المقدسة المتمثلة في أسفار العهد القديم والمشنا والتلمود والترجوميم. ورغم قدم التراث الديني اليهودي عن التراث الديني الإسلامي، فإن اليهود لم يهتموا بوضع قواعد للغتهم، ولذلك لم يظهر عندهم علم النحو بالمصطلح العلمي المعروف قبل عصر سعديا جاؤون وبتأثير من الثقافة العربية الإسلامية".[٥١]

وإذا كانت العبرية قد تأثرت مصطلحاتها بالآرامية واليونانية وامتد الأثر الآرامي اليوناني إلى الفكر والفلسفة اليهودية، إلا أنه من الجدير بالذكر أن هذا الثراء الذي لحق بالعبرية على مستوى التقعيد والألفاظ والدلالات الأدبية واللغوية لم يحدث إلا مع الاحتكاك بالعرب المسلمين. "فعلي الرغم من وجود العبرانيين بين الآراميين واليونان والرومان، لم تتأثر اللغة العبرية ولم تتطور ذلك التطور الكبير الذي حظيت به بين يدي اللغة العربية، وفي هذه الملاحظة يتساءل جويتين Goitein: لماذا انتظر اليهود العرب حتى ينهضوا بلغتهم علميًا وثقافيًا في عهد المشنا مثلاً؟ ولماذا لم يطوروا بأنفسهم النحو والمعاجم الخاصة بلغتهم المقدسة عندما كانوا في موطنهم، أو في العهد المسيحي في فلسطين، حيث توفر بينهم كثير من الأحبار الذين أتقنوا ثلاث لغات: عبرية العهد القديم وعبرية المشنا والآرامية؟"[٥٢]

وإذا كان الاهتمام بالعهد القديم كان دومًا هو الباعث أصالةً أو تقليدًا على وضع قواعد للضبط الصوتي أو على مستوى علم النحو، فإن الاهتمام بالناحية الصوتية قد بدأ مبكرًا من أجل وضع مقاييس صحيحة للقراءة التعبدية. "ومن هنا نشأ نظام الحركات والنبرات وعلامات التنقيط وقد قام بهذا العمل العظيم مدارس العلماء الذين عُرفوا باسم رجال الماسورة وعُرف عملهم باسم الماسورة...وقد نشأ نظام الحركات تدريجيًا ففي أول الأمر اخترع العلماء نبرات وعلامات للتنقيط كانت ضرورية لتوضيح الفواصل، ومع علامات التنقيط البسيطة استعمل العلماء علامات أخري للقراءة مثل نقط فوق الحروف أو تحتها ونقط داخل الحروف لتوضيح تضعيف حروف خاصة.[٥٣]

فلما جاء القرن السابع الميلادي وما تلاه من انتشار الإسلام واستقرار حركة تقعيد العلوم في المدارس الإسلامية المختلفة شرقًا وغربًا بدأ التأثر اليهودي بهذه الحركة العلمية القوية من جوانب عديدة على مستوى الفقه والعقيدة وعلم الكلام والفلسفة ولا

سيما مسائل اللغة والنحو. "ويُعد سعديا جاؤون (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) وهو سعيد بن يوسف الفيومي، فيلسوف اليهود، وكان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري على غرار قواعد اللغة العربية في كتابه (أجارون)، ثم وضع كتابي اللغة العبرية والفصاحة، وعلى الرغم من أنه لم يصل إلينا، فقد ورد في الأخبار أنه كان يتناول اللغة العبرية وقواعدها مقتفيًا أثر اللغويين العرب في تأليفهم في النحو العربي لدرجة أنه هو ومعظم من جاءوا بعده ألفوا كتبهم هذه باللغة العربية.[٥٤]

ويبدو أن سعديا الجاؤون أوغل في كتاباته عن العبرية بالاستشهاد باللغة العربية والكتابة بها أيضًا حتى صار مثالاً يحتذي به لمن أتوا بعده من علماء اليهودية، ولا ريب أن ثمة معارضة واستهجانًا للإكثار من اللجوء للعربية توضيحا للمشكلات وفهما للغوامض والمغلقات، وكانت هذه المعارضة تأتي من متزمتة اليهود ومتشدديهم حنقًا على العربية والمسلمين على الجملة غير مبالين في صنيعهم بمخالفة صحيح المنهج العلمي. فنجد أبا الوليد مروان بن جناح القرطبي يرد على هذه المعارضات في مقدمة كتابه (اللُّمَع) قائلاً "وما لم أجد عليه شاهدًا مما ذكرته ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي لم أتحرج من الاستشهاد بواضحه، ولم أتحرج من الاستدلال بظاهره كما يتحرج من ضعف علمه وقلّ تمييزه من أهل زماننا لا سيما من استشعر منهم التقشف وارتدى بالتدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور.

وقد رأيت سعديا يترجم اللفظة الغريبة بما يجانسها من اللغة العربية، وقد رأيت الأوائل وهم القدوة في كل شيء يستشهدون على شرح غريب لغتنا بما جانسه من غيرها من اللغات فتراهم يفسرون كتاب الله من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والأفريقي وغيرها من الألسن فلما رأينا هذا منهم لم نتحرج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقًا ومجانسًا له من اللسان العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهًا بلساننا، وأما اعتلاله وتصريفه ومجازاته واستعمالاته فهو في جميع ذلك أقرب إلى لساننا من غيره من الألسن. وأن تعسف أهل زماننا وكثرة شططهم وبما يبعثهم عليه الحسد من الإنكار لما ليس بمنكَر جعلهم ينكرون الاستشهاد باللفظ العربي".[٥٥]

ومن العلماء اليهود الذين أثْرَوا العبرية بتأثرهم العربي الشاعر واللغوي مناحم بن سرّوق (ت.٩٣٠م) والذي ألف كتابًا في النحو العبري سماه "מחברת" أي الكشكول، اهتم فيه بمسألة الجذور اللغوية الآرامية والعبرية، ودوناش بن لِبرَط المعاصر لابن سرّوق "وهو الذي ينسب إليه أنه أول من ميز بين الأفعال المتعدية والأفعال اللازمة في اللغة العبرية بصفة عامة، فضلاً عن أنه اهتم بالحروف الضعيفة وأفرد لها مكانًا خاصًا، وعالج أداة التعريف بالعبرية".[٥٦] وأيضًا "أبراهام بن عزرا" (ت. ١١٦٧م) وهو صاحب كتاب (اللغة الفصحي) وقد بحث فيه مسائل معينة في النحو، ولهذا الكتاب أهمية خاصة لأنه بحث فيه علاقة اللغة العبرية بالعربية والآرامية.[٥٧] وفي القرن الحادي عشر الميلادي بدأ الحاخام يهوذا بن حيوج (أبو زكريا يحيى) في تطبيق أساليب النحاة العرب على اللغة العبرية، ومن ثم قام بشكل غير مقصود بوضع أسس الفقه المقارن للغات السامية – في النحو العبري- وقد استقرت في هذه الآونة أن ثمة علاقة بين اللغة الآرامية والعبرية.[٥٨]

وسيد علماء يهود في عصره "أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي" (ت.١٠٥٥م) والذي تعددت تآليفه وكتبه في علوم اللغة والنحو وأهمها على الإطلاق كتاب (التنقيح) والذي يحتوي كتابين هما (كتاب الأصول) وهو معجم للعهد القديم و(كتاب اللمع) والذي يقول عنه ابن جناح "وسميت كتابي هذا كتاب التنقيح الذي معناه في اللسان العبراني البحث والتفتيش كما أن تنقيح الكلام في اللسان العربي هو تفتيشه أيضًا.[٥٩] وإبراهيم إسحاق بن بارون المتوفى قبل عام ١١٢٨م، صاحب كتاب (الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية)، "ويشمل كتاب الموازنة قسمين أساسيين مختلفين عن بعضهما، فالقسم الأول يتضمن دراسة لنحو اللغة العبرية مقارنة بالنحو العربي، أما القسم الثاني فإنه يمثل عملاً معجميًا يقارن فيه جذور اللغة العبرية بالجذور في اللغة العربية".[٦٠] وللوقوف على مدى تعمقه في الدراسة المقارنة بين اللغتين العبرية والعبرية فنعرض لجزء يسير من حديثه عن الظاهر والمضمر فيقول: "القول على مرتبة الاسم: الظاهر والمضمر: والنون عند العرب ضمير جماعة الصنفين وهذا الضمير عندنا هو بالميم فقط والنون فقط نحو "אדיקם ארקעם" (صموئيل الثاني ٢٢:٤٣) والمنفصل عند العرب إيّاي وإيّانا ونظير ذلك لفظة את عندنا مثل וקדשת אותם (الخروج٢٨:٤١)، אותי وما أشبه ذلك".[٦١]

وفي باب الأدب لا يقل الأثر الأدبي العربي في اليهودية عن نظيره في باب اللغة والنحو وذلك في نظر الباحثين والعلماء اليهود قبل غيرهم، "ولعل في كلام يهوذا الحريزي عن مصادر الشعر العبري، كشهادة شاهد من أهلها، ما يغنينا عن الخوض في فضل العرب على غيرهم في الأدب عامة؛ وفي الشعر على وجه الخصوص؛ ويؤكد على تعلّم اليهود الشعر منهم، فيقول: وذات يوم وأنا جالس في جمع من الحكماء الأجلاء، الذين ينظمون من الشعر نفائسه ويطرقون مواضيعه في يسر.... وعمن أمد اليهود بمصادره، ومن أضاء له أوكاره ومخابئه، أجاب بعضهم قائلًا: لقد تعلمنا جميعًا هنا، حيث قصّ علينا آباؤنا أنّ العرب توارثوا الشعر منذ أن وجدوا في أراضيهم لكننا لا ندري متى ظهرت روح الشعر عند العبريين... ودُعي شيخ حكيم كان يجلس بينهم، وكان يضحك استخفافًا بهم... وقال لهم "اعلموا أن الشعر الرائع الذي يمتلئ بالنفائس والروائع قد توارثه العرب في البداية... ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا... فلا نجد الشعر الجميل اللفظ، الجزل العبارة مثل الشمس في إشراقها إلا لدي العرب، أما غيرهم فلا يمثلون إلى جانبهم شيئًا، وقد أقام العديد من أبناء شعبنا بعد النفي، بين العرب في أقطارهم وسلكوا الحديث بلغتهم والنطق بنطقهم وخلال اختلاطهم بهم تعلموا عنهم صنعة الشعر، مثلما قيل: اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم، فعندما كان يسكن آباؤنا الأرض المقدسة لم يعرفوا الشعر الموزون باللغة العبرية. فلا يوجد في أسفار أيوب والأمثال والمزامير إلا بعض الفقرات القصيرة التي تشبه أبيات الشعر ولكنها بلا قافية أو وزن.[١٢]

ومن أشهر الشعراء اليهود الأندلسيين الشاعر (دوناش بن لبرط) الذي عاش في القرن العاشر الميلادي وكان من أساتذته سعديا الفيومي في مدرسة صورا بالعراق "وقد أعجب بعلوم العربية وآدابها إعجابًا جعله ينصح اليهود في بيت شعر كتبه بالعبرية ليتعلموا العربية يقول فيه:

فلتكن الكتب المقدسة جنتك
ولتكن الكتب العربية فردوسك

وعند وصول دوناش إلى قرطبة دعا الشعراء اليهود أن يزنوا أبيات أشعارهم طبقًا للبحور العربية، وبادر هو بقرض أشعارٍ موزونة، وبدعوته هذه أحدث ثورة أدبية هائلة في شكل الشعر العبري.[١٣] ولم يقف الأمر عند حد تقليد الأوزان العربية بل إلي مضامين المعاني كالاقتباس الذي يسميه بعضهم التضمين "وقد أطلق علي هذا المصطلح في العبرية اسم (שבויץ) ويُرجع (موسي بن عزرا) في كتابه (שירת ישראל) استخدامه إلى تأثير الشعر العربي، ويضيف إلى ذلك قدرة الشعراء اليهود على فعل ذلك باستخدام فقرات كاملة أو أنصاف فقرات من الأسفار الدينية.[١٤]

ونتيجة أخرى لهذه النهضة اللغوية العبرية ولهذا الاهتمام بالكتاب المقدس ولعملية المزج بين العرب واليهود وبعْث حضارة عربية إسلامية ظهر الشعر العبري الحديث والمعروف باسم (بيوتيم) فهذا الفن من فنون الشعر العبري لم يعالج الفروسية والغزل أو الرثاء والهجاء بل اهتم بالدين والمعبد.... شعر يعبر عن آلام اليهود وأحزانهم... نشأ متأثرًا بالشعر العربي من ناحية الوزن والقافية وأول شاعر نهض به هو (يننای) وتلميذه (اليعازر).[١٥] يتبين لنا من كل ما سبق أن ثمة أثرًا بينًا، يستعصي على الإنكار، يدل على تمازج حادث بين الثقافتين العربية والعبرية وأن أثر العربي في العبري لغة وأدبًا هو واقع يقره العلم وتثبته الشواهد التاريخية التي لا تحصى- سواء في باب تقعيد العلوم أو الانتشار الفكري والمعرفي.

خاتمة

البحث في باب اللغات السامية وآثارها وجذورها محمول على البحث في باب الدراسات الإنسانية عمومًا، قصاراه استنباط الأحكام من ظواهر الأدلة وبواطنها، ذلك أن زمن التحري موغل في القدم، ضارب بأطنابه في مجاهل التاريخ، على أنه مما يحسن في بابنا هذا دون غيره من بقية فروع البحث أن اللغات وعلاقتها ببعضها يُستدل بحاضرها عن ماضيها ويُستنبط ما خفي منها بظاهر ما بدا عنها، وإن لم يكن على النحو المنشود للقطع في جملة مسائلها؛ ولكن أدنى الكمال خير من العدم.

نتائج الدراسة

وقد وقفت في هذا البحث على جملة من النتائج التي تأكّد لي بعضها وبرز بداءة بعضها الآخر، ومنها:

١- أن مادة الأدب الجاهلي التي بين أيدينا شعرًا ونثرًا على قوتها ونضجها وازدهارها؛ لابد وأن تكون نشأتها ضاربة في أعماق التاريخ ولا تقف عند حد أول ما ينسبه الرواة إلى امرئ القيس والمهلهل بن ربيعة في حدود القرن الرابع ق.م، إذ لابد من أن سلسلة النمو الحيوي لهذا الأدب تعود إلى ما قبل هذا التاريخ بقرون، وهو ما قد يوازى زمن التدوين لبعض أسفار العهد القديم موحيًا بوقوع تأثر وتمازج معرفي بين كلا الحيين؛ العرب واليهود.

٢- ومما حسن الوقوف عليه منهجيًا أن انتفاء الدليل على قضية لا يعني انتفاء القضية برمتها أو ثبوت الطرح المناقض للطرح المستدل عليه بدليل نظري عزّ ما يدعمه من دليل الواقع؛ كالذي وقفت عليه في قضية الشعر الجاهلي فإن أقدم ما وصلنا هو شعر منسوب لأمرئ القيس يقدر بنحو قرنين قبل الإسلام ولكن الشواهد النظرية التي بين أيدينا تدل قطعًا على أن تاريخ ظهور الأدب الجاهلي أبعد من ذلك بكثير.

٣- يتأكد بنص العهد القديم أن عرب الجاهلية لم يكونوا على الدوام أنزاقًا متفرقة تخلو من الاتحاد على الكلمة الواحدة واجتماع البأس؛ غاية ما هنالك لهم أن يتبعوا شيخ قبيلة يقضى لهم في المهمات، بل كانت لهم أحيانًا ملكيات قادرة ومسيطرة حاربت ملكية بنى إسرائيل وهزمت بعض ملوكهم وأسرتهم وإن كانت ملكية العرب دون المفهوم الكامل لمعنى الملكيات قديمًا.

٤- أن أرض عرب الجاهلية كانت احدى الملاذات لليهود على مر تاريخهم في فترات شتاتهم وحروبهم وقامت بينهم وبين بنى عمومتهم من الإسماعيليين علاقات المصاهرة والقربى والتنازع على السيادة.

٥- العهد القديم كتاب جامع لسياقات تاريخية ودينية وأدبية وأن مادته الأدبية لم تخل من أثر عربي أكيد بحكم النشأة والمجاورة وقوة المادة الأدبية العربية وجزالتها.

٦- نص العهد القديم قد تعرض إبّان نشأته وتدوينه واستقراره على النحو القائم لكثير من المشكلات والعقبات التي أثارت كثيرا من السؤالات والاستفهامات حول صحة ما دُون وزمن تدوينه وصحة نسبته إلى قائليه؛ وهو ما يضعه والحال هكذا في إطار واحد مع تاريخ الأدب الجاهلي؛ فيجري عليهما في كثير من أحوالهما الأحكام ذاتها التي يستدل بها على ماهيته وكنهه.

٧- اهتمام المسلمين بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبروز منهج تقعيد العلوم ونشأتها على أساس منهجي عاد بأثره المباشر على اللغة العبرية وعلماء اليهود الذين قاموا بمشاكلة علومهم وفق ما صنعه المسلمون.

يبقى أن هذه الدراسة هي نتيجة جهد بشرى يسعى جاهدًا لإدراك الصواب، وقد تتحمل من مظنة الصواب القدر الذي تتحمله من مظنة الاستدراك؛ والبحث العلمي دوّارٌ يجبر بعضه بعضا.

الهَوامِشُ:

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، باب ما يجوز من تفسير التوراة، ١٥٧/٩ تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: أولى، ١٤٢٢هج.

(٢) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، ١٢٥/١٦، مؤسسة الرسالة، ط: أولى، ١٤٢١ هج.

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، باب ما ذكر عن بني اسرائيل،٤ /١٦٩، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: أولى، ١٤٢٢هج.

(٤) محمد بن سلام الجمحي، **طبقات الشعراء**، ت: طه أحمد إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص: ٣٨.

(٥) الأب جرجس داوود، **أديان العرب قبل الإسلام**، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط ثانية،١٩٨٨، ص:٢٥.

(٦) مراد فرج، **الشعراء اليهود العرب**، تصدير د_ إسماعيل أحمد أدهم، دار العالم العربي، ص: ج.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ت: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ط:٣، دار صادر-بيروت، ٢٠٠٨، ج:٢٢، ص: ٧٧.

(٨) عبد الرحمن بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ت: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، ٢٠٠٠ م، ج:٢، ص: ١٠٠.

(٩) يعلق الأب أنستاس ماري الكرملي على هذا النص في كتابه "**أديان العرب وخرافاتهم**" تحقيق: وليد محمود خالص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: أولى، ٢٠٠٥م، ص: ٦٣، فيقول: كذا في الأصل المطبوع وهو غلط ظاهر والصواب حمير كما هو معروف".

(١٠) بهاء الدين أبي الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ت: إبراهيم صالح، دار صادر-بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م، ج: ٢، ص: ٣٨٠.

(١١) محمود أحمد حسن المراغي، **الصورة الأدبية بين أشعار المكتوبات والأدب الجاهلي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٩٨٤، أدب عين شمس، ص: ٣٩٣.

(١٢) أبو الفداء إسماعيل بن درع بن كثير، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف-بيروت،١٩٩٠، ج: ٢، ص: ١٨٧.

(١٣) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث-القاهرة، ج: ١: ص: ١١٦.

(١٤) تيودور نولدكه، **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، مقال بعنوان "**من تاريخ نقد الشعر العربي القديم لتيودور نولدكه**"، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥، ص: ١٧.

(١٥) محمود أحمد حسن المراغي، **الصورة الأدبية بين أشعار المكتوبات والأدب الجاهلي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٩٨٤، آداب عين شمس، ص: ٣٨٧.

(١٦) أحمد محمود هويدي، **الأدب الجاهلي في ضوء نظرية مصادر التوراة**، بحث ألقي في مؤتمر المخطوطات المطوية بمكتبة الإسكندرية ٢٠٠٨ م، ص:٢.

(١٧) محمد بن سلام الجمحي، **طبقات الشعراء**، مصدر سابق، ص: ٣٤.

(١٨) فؤاد حسنين علي، **من الأدب العبري**، بدون بيانات نشر، ص:٥٦.

(١٩) أحمد محمود هويدي، **الأدب الجاهلي في ضوء نظرية مصادر التوراة**، مصدر سابق، ص:٧.

(٢٠) سبتينو موسكاتي، **الحضارات السامية**، ت: السيد يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ص:١٢٦.

(٢١) **الصورة الأدبية بين أسفار المكتوبات والأدب الجاهلي**، مصدر سابق، ص:٣٩٥.

(٢٢) د/ فؤاد حسنين علي، **من الأدب العبري**، مصدر سابق، ص:٥٦.

(٢٣) المصدر سابق، ص: ٥٦.

(٢٤) إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، مطبعة الاعتماد بمصر، ط: الأولى، ١٩٢٩، ص: ٩١.

(٢٥) محمد خليفة حسن، أحمد محمود هويدي، **اتجاهات نقد العهد القديم**، دار الثقافة العربية، ط أولي ٢٠٠١م، ص:١٥.

(٢٦) يهوذا بن شموئيل هاليفي، **الحجة والدليل في نصر الدين الذليل**، ت: ليلي إبراهيم أبو المجد، المركز القومي للترجمة ط: أولي، ٢٠١٤، ص:٣٥٣.

(٢٧) روبن فاير ستون، **ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين**، معهد هاربيت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان، اللجنة اليهودية الأمريكية، الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية الإسرائيلية، ص:١٥.

(٢٨) زياد مني، **جغرافية التوراة**، مصر وبنو إسرائيل في عسير، رياض الريس للكتب والنشر، ط١٩٩٤م، ص:١٠١.

(٢٩) محمد خليفة حسن، **مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم**، القاهرة،٢٠٠٢، ص:٢٥.

(٣٠) المصدر السابق، ص: ٢١.

(٣١) أحمد محمود هويدي، **تاريخ الآباء وديانتهم، رؤية نقدية في ضوء نظرية مصادر التوراة**، مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة، مجلد (٦٠)، عدد (١) يناير ٢٠٠٠، ص:١٧٧.

(٣٢) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، منشورات جامعة بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، الجزء الأول، ص:١٩.

(٣٣) المصدر السابق، ص: ٤٣٩.

(٣٤) حسين الشيخ، **العرب قبل الإسلام**، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣، ص: ١٨٥.

(٣٥) مصطفي صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣م، القاهرة، ص:٤٩.

(٣٦) اقليميس يوسف داود الموصلي السرياني، **اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية**، طبعة دير الآباء الدومينيكين، ١٨٧٩، ص: ٨.

(37) Aaron D. Rubin, A Brief Introduction to the Semitic Languages, p: 15, Gorgias press, 2010

(٣٨) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، الجزء الأول، قوبلت على تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، ١٩٨٣، ص: ٣١

(٣٩) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، الجزء الرابع، ت: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط أولى، ٢٠٠٣. ص: ٥٢.

(٤٠) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، المجلد الأول، ١٤٠٩هج، ص: ١٣٢.

(٤١) أحمد فؤاد، **الكنز الثمين في قواعد اللغة العبرية**، مركز الراية للنشر والإعلان، ص:٧

(٤٢) عوني عبد الرؤوف، **قواعد اللغة العبرية**، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧١، ص:٢١.

(٤٣) جودة محمود الطحلاوي، **تاريخ اللغات السامية**، مطبعة مصر، ١٩٣٢، ص:٦٩.

(٤٤) كارل بروكلمان، **فقة اللغات السامية**، ت: د/ رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية، ١٩٧٧م، ص:١١.

(٤٥) فائز فارس، **اللغة العبرية**، دار البشير، عمان، ط أولى، ١٩٨٧، ص:٢٠.

(٤٦) حسن ظاظا، **الساميون ولغاتهم**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط:٢، ١٩٩٠م، ص: ٧٧.

(٤٧) ربحي كمال، **المعجم الحديث**، عبري ـ عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: أولي، ص:١١.

(٤٨) **الساميون ولغاتهم**، حسن ظاظا، مصدر سابق، ص: ٧٧.

(٤٩) إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، مصدر سابق، ص:٩٧.

(٥٠) إبراهيم موسى هنداوي، **الأثر العربي في الفكر اليهودي**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣، ص:٤.

(٥١) إبراهيم إسحاق بن بارون، **الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية**، ت: د/أحمد محمود هويدي، مركز الدراسات الشرقية، العدد (٤)، ١٩٩٩م، ص: ٢٩.

(٥٢) محمد صالح الضالع، **دراسات في الترجمة واللسانيات العبرية**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد ٢٣، ٢٠٠٨م، ص: ٨٧.

(٥٣) إبراهيم موسى هنداوي، **الأثر العربي في الفكر اليهودي**، مصدر سابق، ص:٦.

(٥٤) كفاح صابر رشيد، **الرسالة ليهوذا بن قريش، الفيلولوجية الأولي في مقارنة اللغات السامية**، رسالة دكتوراه منشورة، بدون دار نشر، ط أولي٢٠١٢م، إشراف: أ.د/ أحمد محمد محسن، ص: ٣١.

(٥٥) إبراهيم موسي هنداوي، **الأثر العربي الفكر اليهودي**، مرجع سابق، ص:٢٨.

(٥٦) عبد الرازق أحمد قنديل، **شعراء العبرية الأندلس**، ص: ٩.

(٥٧) إبراهيم موسي هنداوي، مرجع سابق، ص: ١٦.

(58) COMPARATIVE GRAMMAR OF THE SEMITIC LANGUAGES, DE LACY O'LEARY, D.D. LONDON, KEGAN PAUL, TRENCH, TRUBNER & CO., LTD. 1923, P: 1..

(٥٩) المصدر السابق، ص: ٢٥.

(٦٠) إبراهيم إسحاق بن بارون، **الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية**، مصدر سابق، ص: ٣٨.

(٦١) المصدر السابق، ص: ٥٥.

(٦٢) شعبان محمد عبد الله سلام، **التأثيرات العربية في البلاغة العبرية**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، عدد (٥)،٢٠٠٢، ص: ١٢.

(٦٣) محمد بحر عبد المجيد، **اليهود في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي، العدد ٢٣٧، ١٩٧٠م، ص: ٢٧.

(٦٤) سعيد عطية علي مطاوع، **التراث الديني اليهودي في الشعر العبري الأندلسي**، مركز الدراسات الشرقية (٢٢)، ٢٠٠٨م، ص: ٤.

(٦٥) فؤاد حسنين علي، **من الأدب العبري**، دون بيانات نشر، ص: ١٢٧.